المشرق

السنة الثلاثون | كانون الثاني ١٩٣٢

لوقا صاحب الانجيل الثالث

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ما يُعرف عن القديس لوقا

الله الاسم « لوقا » Λουκᾶς هو مجتزأ من الاسم اليوناني « لوقيانوس » Λουκιανός ، او « لوقيليوس » Λουκίλιος ، او على الارجح من « لوقانوس » Λουκανός . يؤيد ذلك العنوان الذي يُروى في كثير من النسخ القديمة للترجمة اللاتينية المسماة « إيتلا » *Itala* وهو «انجيل لوقانوس»[1] .

١) ان هذا الاجتزاء لم يكن نادرًا عند اليونان والرومان . ولدينا امثلة عديدة على ذلك نحو : سيلاس عوض سيلفانوس ؛ زيناس عوض زينودور ؛ ديماس عوض ديمتريوس ؛ ارتيماس عوض ارتيميدور ؛ كليوپاس عوض كليوپاتر ؛ هرماس عوض هرماغوراس ؛ الكساس عوض الكسندر الخ . . . وهذه العادة وجدت في بلادنا السورية قديمًا ، وخاصةً حديثًا نحو : جبرا ، جبّور ، جبران عوض جبرائيل ؛ انطون ، طنوس عوض انطونيوس ؛ گابي عوض گبرييل ؛ زوزو عوض جوزيف ؛ ليزا عوض اليصابات او إليزابيت الخ .

ورد هذا الاسم « لوقا » في ثلاثة مواضع من العهد الجديد : في رسالة بولس الرسول الى اهل كولتي (٤: ١٤) : « يسلّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » . وفي رسالته الثانية الى تيموثاوس (٤:١١) : « ومعي لوقا وحده » . وفي رسالته الى فيلمون (٢٤) : « ولوقا معاوني » .

ان هذا الاسم «لوقا» هو اسم صاحب الانجيل الثالث من الاناجيل الاربعة القانونية المقبولة في الكنيسة ؛ كما يشهد على ذلك التقليد الصحيح المتواصل من اوائل النصرانية . وسنبيّن هذه الحقيقة في مقالتنا هذه .

ان لوقا هذا الانجيلي هو غير الشخص المسمّى « لوقيوس » الذي ورد اسمه في اعمال الرسل (١٣: ١) : « لوقيوس القيريني » ؛ وفي رسالة بولس الرسول الى الرومانيين (١٦: ٢١) : « يسلّم عليكم تيموتاوس معاوني ولوقيوس » .

وُلد القديس لوقا بمدينة انطاكية قاعدة سورية . يتضح ذلك مما قاله اوسابيوس [١] المؤرخ الكنسي (ك ٣ ، ف ٤) « ان لوقا مولود في انطاكية » . ويؤكد ذلك ايضاً القديس ايرونموس [٢] : « الانجيلي الثالث هو لوقا الطبيب. كان من انطاكية سورية وهو الذي ‹يُثنى عليه في امر الانجيل› (٢ كور ٨: ١٨) وكان تلميذاً لبولس الرسول . وقد ألّف كتابه في جهات اكائية وبيوسية . روى الحوادث من اول حياة يسوع كما صرّح هو ذاته في بدء انجيله . وروى ما سمعه لا ما شاهده » .

لم يكن لوقا يهوديّ المولد ، بل كان من الوثنيّين . نستخرج ذلك من اقوال بولس الرسول في رسالته الى اهل كولتي (٤ : ١٠) ، فان بولس بعد ان ذكر ثلاثة من صحبه ومعاونيه ، وهم أرسترخس ومرقس ويسُّس ، قال عنهم انهم « من اهل الختان » . ثم ذكر ثلاثة آخرين من صحبه ومعاونيه ، وهم أبفراس ولوقا وديماس . فلو كان هؤلاء من اهل الختان ، لكان ذكر ذلك ، او اقلّه لما كان خصّص الثلاثة الاوّلين بانهم من اهل الختان. فلوقا اذاً اتى من الوثنية الى النصرانية ، فيكون وُلد من ابوين وثنيّين . ويكون لوقا وحده ما

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ ، العمود ٢٢٠

٢) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢٦ ، العمود ١٨

بين الانجيليين من اصل وثني. ولا ينفي قولنا هذا ما نجده من نوع التعبير العبراني في بعض العبارات من الانجيل واعمال الرسل . لان هذا النوع من التعبير يُنسب الى المصادر التي استقى منها لوقا.

يصعب تعيين الزمان الذي فيه اعتنق لوقا الدين المسيحي . لكن يمكننا ان نعرف ذلك بالتقريب . فان لوقا من انطاكية سورية كما سبق لنا القول . فلا نكون بعيدين عن الحقيقة ان قلنا انه انضم الى النصرانية عندما دخل الدين المسيحي هذه المدينة . ويُفهم مما قاله ترتليانوس في كتابه[1] ضدّ مرقيون (٤:٢) ان لوقا كان تلميذاً لبولس الرسول. ولعله ارتدّ على يده . ومن ثمّ يتضح لنا سبب الصداقة التي تمكنت بين بولس ولوقا قال ترتليانوس : « لم يكن لوقا رسولاً بل رسولياً ، لا معلماً بل تلميذاً . كان ادنى من معلّمه تابعاً للرسول المتأخر اي لبولس بدون شك ».

ونعلم مما قاله بولس الرسول ان لوقا كان طبيباً : « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » (كولسي ٤ : ١٤) . ويؤيد قول بولس اولاً اقوال الكتبة الكنسيين في اوائل النصرانية الذين ذكروا ان لوقا كان طبيباً . ثم ثانياً ما ورد في انجيل لوقا واعمال الرسل من العبارات المستعملة عند اشهر اطباء اليونان كبقراط وجالينوس ، والوصف الدقيق للامراض الدالّ على ان لوقا كان يعرف الطبّ . وقد اورد شارحو انجيل لوقا واعمال الرسل امثلة عديدة على ذلك . وامتاز لوقا عن سائر الانجيليين في هذا الموضوع . يكفي ان نذكر ما قاله لوقا عن نزاع يسوع في بستان الزيتون . فقد وصف وصوّر لنا هذا النزاع بظروف لم يذكرها غيره من الانجيليين (لوقا ٢٢: ٤١ ــ ٤٥).

وهنا موضع للسؤال أكان لوقا مصوّراً كما ذكر غير واحد من الكتبة؟ ان القديس توما الاكويني[2] في كلامه عن التقليد قال : « ومن التقليد نعرف ان الطوباوي لوقا صوّر صورة المسيح الموجودة في رومية » . والتقليد الذي يقول ان لوقا كان مصوّراً كان معروفاً في القرن السادس للمسيح . وذكر ثاودوروس

١) الآباء اللاتين لمين ، المجلد ٢ العمود ٣٩٢ و٣٩٣

٢) في مجموعته اللاهوتية الجزء ٣ ، السؤال ٢٥ ، الباب ٣ ، الجواب على الاعتراض ٤

القاري[1] (في تاريخه الكنسي ١ : ١) ان اثدوكيا الملكة، اذ كانت في اورشليم، ارسلت، في نواحي السنة ٤٠٠، الى بولخيريا في القسطنطينية صورة مريم العذراء. من تصوير القديس لوقا. ومهما يكن من الصحة في نسبة بعض الصور الى القديس لوقا فانه من الثابت ان القديس لوقا في كتاباته يظهر بصفات المصوّر اذ يصف لنا الامور كانه يصورها للعقل وللعيون.

ذكر القديس ابيفانيوس (في كتابه ضد الهرطقات ٥١ : ٦) ان لوقا كان احد الاثنين والسبعين تلميذاً. والذين اتبعوا هذا الرأي من الكتبة يؤيدون قولهم بانّ لوقا (١٠ : ١) وحده ذكر ارسالية الاثنين والسبعين تلميذاً، وما اوصاهم به يسوع اذ ارسلهم يكرزون ببشارة الانجيل، وما تموه في هذه الرسالة وعودتهم الى يسوع الخ. الّا ان لوقا ذاته في بدء انجيله (١ : ١—٢) ينفي سلفاً هذا الرأي بقوله: «اذ كان كثيرون قد اخذوا في ترتيب قصص الامور المتيقّنة عندنا كما سلّمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة». فاذاً لوقا لم يكن من المعاينين، ومن ثمّ لم يكن تلميذاً ليسوع في حياته على الارض. وقد سبق لنا القول ان لوقا قد ارتدّ من الوثنية الى النصرانية، اذ تنصّر اهل انطاكية. ولنا دليل آخر على ذلك وهو ترتليانوس، (ضدّ مرقيون ٤ : ٢)، بقوله كأمر ثبت ان لوقا لم يكن تلميذاً ليسوع المسيح. فأكّد ترتليانوس وكذلك ايريناوس (ك ١، ف ٢٠) قائلين ان لوقا «رجل رسولي» اي معاصر للرسل بعد صعود المسيح الى السماء. وفي قانون موراتوري يقال عن لوقا انه «لم يعاين الربّ في الجسد».

ان لوقا يُطلعنا على قسم عظيم من حياته اذ يقصّ لنا خدمته للانجيل بالاشتراك مع بولس الرسول في اسفاره وذلك في سنين عديدة. فيبتدئ بالاخبار بصيغة المتكلّم في الفصل ١٦ من اعمال الرسل، الآية ١٠، وكان بولس اذ ذاك في ترواس. «فظهرت لبولس رؤيا ليلاً وقف به رجل مكدوني يسأله ويقول اعبر الى مكدونية وأغثنا. فلما رأى الرؤيا طلبنا للوقت ان نسير الى مكدونية موقنين بانّ الرب قد دعانا لنبشرهم. فاقلعنا من ترواس وسرنا سيراً مستقيماً

١) الآباء اليونان لمين، المجلد ٨٦، الجزء الاول، العمود ١٦٥

الى ساموتراكية وفي الغد الى نيابلس ومن هناك الى فيلبي التي هي اول مدينة في ارض مكدونية وهي كولونية فأقنا بتلك المدينة اياماً» (اعمال١٦: ٩-١٢). وتراه ايضاً في ما بعد، في تلك المدينة العظيمة مع معلمه بولس.

ثم ان بولس في سفره الثاني، بعد ان بشر اهل فيلبي وتركهم ليبشر في اكائية، ابقى في فيلبي لوقا ليعتني بالكنيسة التي انشأها هناك وليثبت المسيحيين الجدد بالايمان. فأقام لوقا في فيلبي بضع سنوات بعيداً عن بولس. والدليل على ذلك انه في الفصل ١٧: ١ الى الفصل ٢٠: ٥ من سفر الاعمال، اذ بشر بولس باكائية لم يعد لوقا يروي الاخبار بصيغة المتكلم كما فعل من الفصل ١٦: ١٠، بل بصيغة الغائب فيروي الاخبار عن سمع لا عن بصر: «وبعد ان اجتازا (بولس وسيلا) في امفيبوليس وابلونية وصلا الى تسالونيكي الخ.» الى ان كان سفر بولس الثالث وعزم على المسير الى اورشليم، فنرى لوقا من جديد من جملة الذين رافقوه. ومن ثمّ في سفر اعمال الرسل (٢٠: ٥) عاد لوقا يروي الاخبار بتفصيل وبصيغة المتكلم: «هؤلاء سبقوا وانتظرونا في تراوس. اما نحن فاقلعنا من فيلبي بعد ايام الفطير، ووافينا في خمسة ايام الى تراوس حيث مكثنا سبعة ايام... ومن هناك توجهنا الى اورشليم مارّين بأسّس وميتلانة وسامس وميلتس وكوس ورودس وباترا وصور وعكا. فاورشليم» (اعمال٢٠: ٥-٧و١٤و٢١: ١-١٦). فان لوقا بنوع ايراده اسفار بولس بيّن جليًا انه شاهد عيانيّ لما يقصّه اذ انه يورد بتفصيل ودقة الامور التي جرت فيستمي الاماكن التي يمرّ بها برفقة بولس، والاشخاص الذين يتحدّث معهم الرسول، والخطب التي ينطق بها.

وفي تلك الاثناء قُبض على بولس في اورشليم في الهيكل وسُجن مدة سنتين في قيصرية. ثم أرسل الى رومية لانه كان قد رفع دعواه الى قيصر. فرافقه لوقا الامين، وكان شريكه في كل ما قاساه من الاتعاب والمخاطر في هذا السفر خاصة اذ غرق المركب الذي كانا مبحرين عليه. فقد اخبر لوقا بكل ذلك برواية هي من اجمل الروايات في العهد الجديد (اعمال ٢٧: ١- ٢٨: ١٦). قال القديس ايرونيموس (في كتابه «مشاهير الرجال» الفصل ٧)[1]:

١) الاباء اللاتين لمين، المجلد ٢٣، العمود ٦٥٠.

ان لوقا رافق تيطس الى كورنتس لجمع الصدقات باسم بولس كما ورد في رسالة بولس الثانية الى اهل كورنتس (٨:١٨-١٩) : « وقد بعثنا معه (مع تيطس) الاخ الذي يُثنى عليه في امر الانجيل في جميع الكنائس . وليس ذلك فقط بل قد اختارته الكنائس رفيقاً لنا في السفر من اجل النعمة التي نخدمها لمجد الرب وابداء نشاطنا »

ثم اننا نشاهد لوقا لآخر مرة في اسر بولس الثاني برومية . وكان ذلك اربع سنوات بعد انتهاء اسره الاول . ففي تلك الاربع السنوات امكن بولس ان يزور اسبانية (رومية ١٥ : ٢٤-٢٨) ، ثم يعود فيزور الكنائس التي كان أسسها في مكدونية واكائية وآسية وغيرها من البلدان ، وفرّق اعوانه ليهتموا بتلك الكنائس . وقُبض على بولس على الارجح في ترواس[١] بمكيدة من اسكندر النحاس وهمنايوس اللذين كان بولس اسلمهما الى الشيطان لتأديبهما (١ تيموتاوس ١ : ٢٠ و ٢ تيموتاوس ٤:١٤) . ومن ترواس اقتاد الجند بولس اسيراً الى افسس ، ثم بالبحر الى رومية . فيكون التقى بلوقا في ترواس كالمرة الاولى ، او في احدى المدن التي كان لوقا يبشر فيها . ومن ثمّ عزم لوقا على ان يكون بجانب بولس برومية كصديق محب يعزّ عليه فراق صديقه ذاك الرسول البطل . يؤكد لنا ذلك بولس في رسالته الثانية الى تيموتاوس التي كتبها في اسره الثاني برومية (٤ . ١١) : « معي لوقا وحده » .

فلماذا اذاً لم يدوّن لوقا في كتابه « اعمال الرسل » ما تممه بولس في السنوات الاربع التي قضاها بين اسره الاول والثاني (من السنة ٦٣ الى ٦٧) . وخاصةً خبر استشهاده . انّ السبب لعدم تدوين لوقا هذه الامور هو انه كان ارسل الى تاوفيلس سفر اعمال الرسل حالاً بعد خروج بولس من اسره الاول وافتراقه عنه

---

١) كان بولس نازلاً في ترواس عند رجل اسمه كربُس . فاذ قُبض عليه بغتة لم يتمكن من اخذ حوائجه فترك عند كربُس رداءه وكتبه وصحف الرقّ . فاذ كان في الاسر ارسل الى تيموتاوس يطلبها : « أحضر معك عند قدومك الرداء الذي تركته في ترواس عند كربُس والكتب وخصوصاً صحف الرقّ ، ان الاسكندر النحاس قد فعل بي شرّاً كثيراً وسيجازيه الرب على افعاله » (١ تيموتاوس ٤:١٢ و ١٤)

للرسالة والتبشير . فلم يتسنَّ له ان يضيف الى ذلك السفر ما عمله بولس في تلك الاثناء ، ولا استشهاده.

بعد استشهاد بولس الرسول في رومية في السنة ٦٧ للمسيح ، لا نعرف شيئاً عن حياة القديس لوقا ولا عن خدمته للكلمة ، ولا اين عاش ، ولا كيف مات . فان التقليد يسكت عن كل ذلك او اقلّه لا ينبئنا عن شيء. ثبت. قال ابيفانيوس [1] (في كتابه « ضد المرطقات » المرطقة ٥١ ، العدد ١١) « ان لوقا بشّر في دلماتية وغالية [2] وايتالية ومكدونية ». وقال غيره انه كرز في اكائية وفي مصر . ثم ان القديس غريغوريوس الثاولوغوس النزينزي [3] هو اول من ذكر استشهاد القديس لوقا (في عظته الرابعة ، وهي الاولى ضدّ يوليانوس الجاحد ، العدد ٢٩) .

البراهين على وجود الانجيل الثالث في اوائل النصرانية

شهادة الآباء الرسوليين

ان الكتبة في اواخر القرن الاول المسيح واوائل القرن الثاني قد اعترفوا بوجود الانجيل الثالث من الاناجيل الاربعة القانونية المقبولة في الكنيسة ، اذ انهم كثيراً ما ذكروه في كتاباتهم ، وان لم يصرّحوا باسم صاحبه.

١ القديس كليمنت. ان هذا القديس ، البابا الثالث بعد القديس بطرس ، توفي في السنة ١٠١ للمسيح . ففي رسالته الاولى الى اهل كورنثية (٤٨ : ٤) يشير الى انجيل لوقا (١ : ٧٤ و٧٥) : « نعبده بلا خوف بالبرّ والقداسة جميع ايام حياتنا ».

ويقول في رسالته (١٣ : ٢) : « ارحموا لتنالوا رحمة اغفروا يُغفر لكم. اعطوا.

---

١) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٤١ ، العمود ٩٠٨

٢) ان ابيفانيوس يؤكد الاسم غالية وينفي الاسم غلاطية. الا ان الآية التي يذكرها من رسالة بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس (٤ : ١٠) ليزيّد رأيه ، تبطل زعمه ، لان الآية هي « وكريسكاس انطلق الى غلاطية ».

٣) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٣٥ ، العمود ٥٨٦

تُدِينوا. كما تقضون يُقضى عليكم. كما ترأفون تنالون رأفة. بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم». (راجع لوقا ٦: ٣٦-٣٨)

ويقول ايضاً في الرسالة ذاتها (٤٦ : ٨) :« الويل لذلك الانسان. كان خيرًا له لو لم يكن ولد من أن يشكّك احد مختاريَّ. كان خيرًا له لو عُلّق في عنقه حجر الرحى وطُرح في البحر من ان يُفسد احد مختاريّ». ان هذا مأخوذ من انجيل لوقا (١٧ : ١-٢ و ٢٢:٢٢) : « الويل لمن تقع عن يده (الشكوك) انه خير له لو عُلّق في عنقه حجر الرحى وطُرح في البحر من ان يشكّك احد هؤلاء الصغار». « الويل لذلك الرجل».

٢ كتاب تعليم الرُسل المسمّى «ديدكه». ان هذا الاثر النفيس الذي ظهر في اواخر القرن الاول للمسيح[1] يذكر (في الفصل الاول العدد ٥) :« كلّ من سألك فأعطه ولا تطالبه» راجع لوقا (٦: ٣٠) : « كل من سألك فأعطه. ومن اخذ مالك فلا تطالبه».

٣ القديس اغناتيوس الشهيد اسقف انطاكية. عاش هذا القديس في اواخر القرن الاول للمسيح واوائل القرن الثاني. واستشهد على عهد الامبراطور تراجان في نواحي السنة ١٠٧ للمسيح. في رسالته الى اهل ازمير (٣ : ٢) كتب : « امسكوني جسّوني وانظروا اني لستُ روحاً غير جسمي». راجع لوقا (٢٤: ٣٩) :« جسّوني وانظروا فان الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لي».

٤ القديس پوليكربوس الشهيد اسقف ازمير. ان هذا القديس عاش من السنة ٦٩ الى السنة ١٥٥ للمسيح. وكان اسقف ازمير في السنة ١٠٧ للمسيح، اذ ان القديس اغناتيوس في سفره الى رومية حيث استشهد في السنة ١٠٧، كما سبق لنا القول، ارسل له رسالة يوصيه فيها بكنيسة انطاكية. ففي رسالة پوليكربوس الى اهل فيلبي (٢: ٣) قال :« اذكروا ما علّمنا الرب قائلاً لا تدينوا لئلا تُدانوا. اغفروا يُغفر لكم. ارحموا لتنالوا رحمة. بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم.» وايضاً :« طوبى للمساكين وللمضطهدين فانّ

---

[1] راجع المشرق (٢٩[١٩٣١]١)

لهم ملكوت السماوات » . راجع لوقا (٦ : ٣٧ و٣٦ و٣٨ و٢٠) :« لا تدينوا فلا تدانوا .. كونوا رحماء كما ان اباكم هو رحيم . بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم » . « طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله » .

٥ شذرات الكهنة الرسوليين.

(هذه الشذرات هي من اقوال الكهنة الذين سمعوا تعاليم تلاميذ يسوع وتلاميذ الرسل) . في الشذرة ٦ ، القسم الاول ، العدد ١٩ ، يروى :« كما ان الرب انتقم من المصريين الذين عذبوا الاسرائيليين هكذا يصير هنا حسب قول الرب : ألا ينتقم الله لمختاريه الذين يصرخون اليه نهاراً وليلاً . اقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً » . فهذه الجملة لا توجد الّا في انجيل لوقا وهي مأخوذة حرفياً منه « أترى الله لا ينتقم لمختاريه الذين يصرخون اليه نهاراً وليلاً او يتأنى في امرهم . اقول لكم انه ينتقم لهم سريعاً » (لوقا ١٨ : ٧—٨).

٦ الراعي هرماس (كتب بين السنتين ١٣٩—١٥٤ للمسيح ، وهو شقيق البابا بيوس الاول) . في التشبيه التاسع ، الفصل ٢٠ ، العدد ٢—٣ قال:« ان الذين ينهمكون في اشغال كثيرة مختلفة لا ينضمون الى خدام الله لكنهم يضلون ويختنقون باشغالهم . فالاغنياء يصعب عليهم الانضمام الى خدام الله لخوفهم من ان يُطلب منهم شيء .. فمثل هؤلاء يصعب عليهم ان يدخلوا ملكوت الله . وكما انه يصعب على حافي الرجلين ان يمشي على الشوك كذلك هؤلاء الناس يصعب عليهم ان يدخلوا ملكوت الله » راجع لوقا (١٨ : ٢٤) :« ما اعسر على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت الله .»

فيتضح مما اوردناه من الآباء الرسوليين، سواء أعاشوا في رومية او في انطاكية او في ازمير، انهم كانوا مطلعين على الانجيل الثالث انجيل لوقا . ولا بُدّ ان هذا الانجيل كان انتشر قبل عهد هؤلاء الآباء الرسوليين ، فيكون كُتب على عهد رسل المسيح .

(للبحث صلة)

سورية في زمن الفتح العربي

شعوبها ، لغاتها ، اديانها

بقلم الاب لامنس اليسوعي

كم كان عدد سكان سورية في زمن الفتح العربي ؟ والى ايّة عناصر مختلفة كانوا ينتمون ؟ وايّ لغة كانوا يتكلمون ؟ وبايّ دين كانوا يدينون ؟ اسئلة مختلفة نجتهد في الاجابة عنها في هذا المقال :

هل جمعت سورية، بين حدودها الطبيعية من طورس الى سيناء، في عصر من العصور، عشرين مليوناً من السكان، كما يقول غير العارفين ويتناقله غير المحققين ؟

يؤكد نجيب العازوري في كتابه « يقظة الامة العربية » انه ، في زمن الملك داود ، كان في تلك الجزيرة التي تقوم عليها مدينة صور مليون من السكان ، وكانت فلسطين تعدّ خمسة عشر مليوناً . ثم اننا اذا اخذنا بزاعم يوسيفوس المؤرخ اليهودي للزمنا ان نجعل في مقاطعة الجليل وحدها اكثر من مليون نفس . وكلها آراء غريبة مجازف فيها ومزاعم لا تستند الى برهان. على ان اغربها واقربها الى المجازفة ما ذكرته مجلة « الهلال » (كانون الثاني ١٩٢٦ ص ٣٥٣ ...) من انه كان في سورية ، قبيل وصول العرب ، ثلاثون مليوناً من السكان ... فهل اراد الكاتب ان يعبث فيضاعف العدد الذي ولدته مخيلة نجيب العازوري ؟.. وقد اشتهر هذا بكتاباته الثورية وعمله على هياج الخواطر ، ولكنه كان ابعد ما يكون عن التحقيق التاريخي والبحث العلمي ، فلم يكن ليتحرج كثيراً في تكثير الاعداد وركم الارقام.

بيد اننا يمكن ان نعتبر، دون ان نُنسب الى المجازفة ، ان فلسطين ، في القرن الاول للمسيح ، قد وصلت الى عدد من السكان قد يكون ضعف

العدد الحالي. اما كل البلاد الشاملة لمقاطعات فلسطين وسورية فقد تكون بلغت، اذ ذاك، السبعة الملايين. وهو عدد مهمّ اذا انتبهنا لمظهر البلاد الجغرافي فقدّرنا المساحة الكبيرة التي تشغلها الجبال الحالية والبوادي المقفرة. ويجب ان لا ننسى انه كان لا يزال، في ذاك العهد، كثير من الغابات الكثيفة المغطية جبال الشمال والوسط. فلم يكن في لبنان خمس سكانه الحاليين.

لا شك ان عاصمة هذه البلاد، انطاكية، كانت قد وصلت الى عدد من السكان لا يقل عن ٣٠٠,٠٠٠ نفس. ويقول اسطرابون ان افامية، وهي ثانية المدن اذ ذاك، بلغ عدد سكانها ١١٧,٠٠٠ وطني، عدا العبيد والموالي. على انني اظن ان قد وقع غلط في هذا العدد، او انه ينطبق لا على مدينة افامية فحسب، بل على كل المقاطعة التابعة لها. وذلك ان خرائب افامية المكتشفة مؤخرًا لا تدل على مدينة كانت تحوي العدد الذي يذكره اسطرابون. ومهما يكن من امر فاننا لا نرى كثيرًا من المدن تقرب من انطاكية في عدد السكان. فان حلب كانت مدينة وضيعة. ثم ليس لدينا ما يبرهن ان دمشق وبيروت تجاوزتا، على عهد الرومان، الخمسين الفًا. ويؤكد اوجين كاڤنياك (Cavagnac) ان المدن الفنيقية الكبيرة كصيدا ومثيلاتها، لم يتجاوز سكانها حتى في ازهى عصور الازدهار، الثلاثين او الاربعين الفًا. اما قيسارية، وهي اليوم مجموعة خرائب، واورشليم، فمن المؤكد انهما بلغتا ضعف هذا العدد على الاقل. ولكن اذا فحصنا حالة الجبال نرى ان جبال العلويين والجبال اللبنانية تظهر مقفرة اذ ذاك، بالنسبة الى ما هي آهلة به اليوم من السكان الذين لجأوا اليها منذ القرون الوسطى. فنرى ان كثيرًا من هذه الارقام تتقابل فتتعادل تقريباً، فحيث نقص عدد السكان اليوم كانت زيادة في الماضي، والعكس بالعكس. على ان نتيجة الموازنة تُظهر فضلًا مهما لعدد سكان العصر الروماني على العدد الحالي. ولكنه لا يتجاوز بهم كثيرًا المجموع الذي قدّرناه سابقاً، وهو سبعة ملايين.

علينا الآن ان نسأل: وما هو سبب هذا النقص الحالي في السكان؟ هو ان سورية، بعد عهد الرومانيين، اخذت بالانحطاط شيئاً فشيئاً. بدأ ذلك

في حياتها المادية فاخذت مظاهر رخائها تضمحل رويداً رويداً. بفضل ما انزله بها البيزنطيون من انواع الضرائب ومن طرق جبايتها خصوصاً ، وبفضل الحروب الدائمة مع الفرس التي عملت عملها الفعّال في انقاص عدد السكّان ، كما عملت على خراب القرى الزاهرة التي كانت منتشرة في منطقة تدمر . والى ذلك العهد يرتقي عدد كبير من « الخِرَب » (ج. خِرْبة) التي يشاهد المسافر آثارها المحزنة في شمال سورية ، ومنطقة حمص ، وحوران ، وشرق الاردن ، فتدلّ على ازدهار سالف ، وتسم منطقتها الحاضرة بسمة خاصة من الدثور والتلاشي . وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من مدن الشاطئ الفنيقي وانطاكية واللاذقية خرب قسم صالح منها ، في القرن السادس ، بما تتابع عليها من الهزات والزلازل.

اذا انتبهنا الى كل ما تقدم من اسباب الخراب ، رأينا ان الفتح العربي لم يؤثر كثيراً في انقاص عدد السكان من الوطنيين . فان الكتائب الرومية التي انتصر عليها خالد بن الوليد كانت اكثرها مؤلفة من جنود اجانب محاربين مأجورين . فكان اهل البلاد يقفون وقفة المتفرّج امام تلك المعارك التي لم يكونوا ليروا في نتيجتها اولا الا ابدال سيّد بسيّد ودولة بدولة . ثم ان كثيراً من المدن فُتحت صلحاً فلم يصب اهلها كبير عناء . ولكن لا يذهب عن بالنا ان بعض مؤرخي الفتوح من العرب يذكرون في السوريين اذ ذاك ميلاً الى المهاجرة ؛ وفعلاً فان البعض منهم لم يمكنهم العيش تحت سلطة العرب ففضلوا ترك بلادهم . ونحن ، اذا اعتبرنا هذا الامر ، مع ما تقدم ذكره من الاسباب العاملة على مهلها في انقاص عدد السكان في مقاطعات سورية قبل وصول العرب ، زلنا مدفوعين الى القول ان سكان سورية ، في حدودها الطبيعية ، كانوا ، في زمن الفتح العربي ، يبلغون نحو الخمسة الملايين . فاين هذا مما تقدم ذكره من الارقام المركومة جزافاً ؟

***

اما العناصر الجنسية التي كانت تؤلف هؤلاء السكان فمتعدّدة متباينة . ولكن يمكن ردّها جميعاً، بطريقة اجمالية ، الى العنصرين الاصليين في الشعوب السورية ، وهما العنصر الآرامي في الشمال والوسط ، والعنصر الكنعاني -

الفنيقي على الشاطئ وفي الجنوب.

على الرغم من كون الحدود السورية طبيعية واضحة التحديد ، فان هذه البلاد لم تخلُ في عصر من العصور من تسرّب العناصر الدخيلة اليها . فان في الحاجز الشمالي الضخم الماثل بجبال طورس كثيرًا من الثغر والمنافذ ، التي كان يدعوها اليونان « بالابواب » او (Pyles) والتي دعاها العرب بعدهم «بالدروب» . وان الفرات يخفّ ازباده ، ايام الصيف ، فيصبح ممكنًا قطعه على الاقدام . اما من الشرق والجنوب فلا تزال مفتوحةً ابواب البادية المترامية الاطراف . هذا فضلًا عن ان كل ما في سورية يثير رغبة الجيران ، وطمع الفاتحين . فهي اقرب طريق تجارية وحربية ، بل هي الجسر الواصل بين آسية الغربية ، وافريقية ، والبحر المتوسط ، فاوربة . والمعيشة فيها اوفر هناء ورخاء ، والمناخ الطف تأثيرًا منهما على بطائح الاناضول الباردة ، او في بوادي العربية القاحلة . وفيها الزراعة المتقنة تدرّ على اربابها الحبوب والخمر والزيت والازهار والثمار . وفي جبالها يسمو الارز الطيّب العَرف . فكان من حظّ هذه البلاد ان تكون قبلة هجرة دائمة ، يأتيها الاجانب من جميع الجهات فيملأون الفراغ الحادث في سكانها السوريين الفينيقيين من جرّاء الحروب ، او الاوبئة ، او نتائج الحياة الوافرة الرخاء والسهولة . ولم تكن سورية تتمكن من مقاومة هذا التسرّب . فان الطبيعة شاءت ان تقسمها الى مناطق جغرافية متباينة منفصلة كل الانفصال بعضها عن بعض ، تألف منها في كل عصر مجموعة من الدويلات المستقلة نوعًا ما كل واحدة عن الاخرى ، فكان والحالة هذه من الصعب ان تمتنع على العناصر الغريبة . على انها ، وان لم تقوَ على منع التسرّب الاجنبي ، فانها كانت تستسيغ كل ما يأتيها من الخارج ولا تلبث ان تتمثله ، مؤثّرة في تلك العناصر الاجنبية التي كانت تنتهي ، على غير قصد منها ، بان تتحول الى عناصر سورية . ثم ان مرور الفاتحين المتتابع لهو مظهر من التاريخ السوري نادر المثال في تواريخ الشعوب . فانه يجعل لسورية قسطًا وافرًا في جميع المدنيات القديمة ، ونصيبًا مهمًا في جميع الافكار الدينية التي أثرت في العالم كله . كما انه يهيئ البلاد لنوع من العمران عجيب يأخذ من جميع مدنيات الشعوب

بطرف ولا يختص بواحدة منها ، ويعدّ اهل البلاد لمزيّة مهمة طالما شهروا بها ولا يزالون،وهي سهولة اللغات المختلفة على السنتهم ومقدرتهم على النبوغ فيها.

***

يجدر بنا الآن ان نشير الى التأثير المتواصل الذي كان يقوم به العرب على الحدود الشرقية . فان البدو الرحّل او اهل المدر من الرعاة ، كانوا كثيري الاقامة في تلك النواحي حتى ان العنصر العربي اصبح اهم العناصر في سكان تلك المنطقة . منهم خرج النبطيون في بترا او صَلع ، ومنهم خرج التدمريون اصحاب زينب الزبّاء ، ومنهم خرج بعد ذلك الغسانيون عمّال البيزنطيين على خفارة الحدود العربية . ثم اتى بعد الغسانيين كثير من القبائل فنزلوا على حدود البادية واخذوا يتحضّرون نوعاً ما ، حتى اعتبروا انفسهم سوريين . هذا وقد كانت لغة النبطيين والتدمريين الآرامية .وما بقي من القبائل كانوا يتكلمون لغة عربية ، ولكنها بعيدة نوعاً مـا عن لغة القرآن لكثرة ما كان فيها من المفردات والتعابير الآرامية.

اما في المدن الفنيقية القديمة فكانت قد اضمحلت اللغة الكنعانية القديمة. ثم ادخل الموارنة الى لبنان اللغة الآرامية التي اصبحت لغة الشعب السوري الحقيقية الجارية في احكام معاملاته التجارية في الاسواق المختلفة ، وفي تأدية واجباته الدينية في الكنائس ، من شمال المناطق السورية - الفلسطينية الى جنوبها ، من انطاكية ، عاصمة البلاد ، الى اورشليم فغزّة . اما اليونانية فكانت لغة رجال الادب والوجاهة وارباب المصالح العامة. واما اللاتينية فكانت لغة الجيش والمحاكم . فيكون ، والحالة هذه ، ان برنامج الثقافة التامة في بلادنا السورية في القرن الخامس للميلاد ، كان يشمل اللغات الثلاث الآرامية واليونانية واللاتينية .

هذا وممن كان يسكن سورية من الشعوب اليهود ، فقد كانوا يكثرون خصوصاً في بلاد الجليل في جوار بحيرة طبرية ، وفي الناصرة التي كان اكثر سكانها من الاسرائيليين . وهناك ايضاً السامريون الذين كانوا يزيدون عدداً عن اليهود ويجتمعون كلهم في تلك المنطقة من فلسطين التي سُميت باسمهم ، فدُعيت السامرة . ويروي بعض المؤرخين انهم في القرن السابق للهجرة ،

جهزوا جيشاً بلغ عدده مائة الف مقاتل، وهاجموا قلعة قيسارية المحصّنة فتحوها عنوة. على انه لا يمكن قبول هذا العدد من المقاتلة لانه يفرض ان السامريين كانوا يبلغون النصف مليون، وهو اكثر من نصف ما كان عليه سكان فلسطين اذ ذاك، ونحن نعرف ان اكثر هؤلاء السكان كانوا من المسيحيين. ثم انه كان في شمالي سورية طائفة من المانوية تحميهم شريعة الاسرار والخفايا. ولا يزال منهم بقايا حتى اليوم يعيشون في جبل سمعان ويُعرفون باليزيدية او عبدة الشيطان.

اما ما بقي من السوريين فكانوا ينتسبون كلهم الى النصرانية.

ولكن ايّ نصرانية متجزّئة، متقسمة، متفرّعة من بدع القرن الخامس المختلفة! فكان هناك النساطرة، وهم اقلهم عدداً، واليعاقبة، واصحاب المشيئة الواحدة، ثم الارثوذكس. وكان هؤلاء يدعون «بالملكيين» او «الروم» اي الرومانيين لانهم كانوا يتبعون ايمان الامبراطورية الثانية المدّعية اتمام الامبراطورية الرومانية. على انه يظهر ان الملكيين فقدوا الاكثرية بالعدد، خصوصاً منذ حكم الامبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١) لان هذا كان من القائلين بالمشيئة الواحدة ومن اشدّ اصحابها غيرةً وحماسة. وان هذه الانقسامات كانت قد ادخلت في جميع الاذهان التضعضع والغموض وحب المشاحنات، حتى صرفتها عن واجب التفاهم والاتحاد في سبيل خير الامة. فكانت النتيجة ان الفاتح العربي، بعد ان انكسر جيش هرقل، لم يرَ امامه الّا فئات متضعضعة، مضطربة، لا دليل لها ولا قائد، خاضعة دون مقاومة لقبول ايّ استعباد كان.

وكان اليعاقبة، وهم اكثر ارباب البدع عدداً في سورية الشمالية والمتوسطة، في عراك دائم مع غيرهم من سائر المسيحيين. مما دفع الموارنة الى الالتجاء الى جبال لبنان. ثم ان اليهود والسامريين كانوا من جهتهم على خلاف متواصل يؤصّله بغض قديم وتمدّه احقاد مجدّدة فتحمل الفريقين على معارك كانت اهول من معارك البدع المسيحية. ولم يكونوا يتفقون الّا على محاربة النصرانية، حيث كان يظهر السامريون باهول ما اتصفوا به من التعصب الهائج الناهش. فكان منهم، ومن اليهود ايضاً، كثير من الجواسيس يخدمون الفاتح الجديد ويمهّدون امامه العقبات بالخبث والدهاء، لا حباً به، بل بغضاً بالانجيل وابنائه.

الصوم الاربعيني في القرن الرابع

في الشرق والغرب

اي في انطاكية واورشليم والاسكندرية وروما

بقلم نصرالله نصرالله (النبك)

هل وُجد الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الكنيسة عموماً، وفي كنائس انطاكية واورشليم والاسكندرية وروما خصوصاً؟ وعلى فرض وجوده فكم يوماً كانت مدته، ما هي نوعية التقشفات الممارسة في ذلك العصر؟

مسائل جمة نبذل قصارى الجهد في الايجاب عنها معوّلين، قدر الطاقة، على مؤلفات الكتبة الكنسيين في ذيالك العصر[1]. لكن قبل الشروع في البحث يحسن بنا ان نقول كلمة عن حالة الصوم في القرون الثلاثة الاولى تتمة للفائدة.

ان اقدم شهادة تتكلم عن الصوم قبل عيد الفصح هي القديس ايريناوس وقد اطلعنا عليها اوسابيوس القيصري من جهابذة مؤرخي القرن الرابع[2]. ويُستدل منها ان الصوم كان يشمل الايام الاخيرة من جمعة الآلام. وعلى رأي العلّامة دوشين (Mgr. Duchesne) انه، سواء كان هذا الصوم يوماً واحداً او اكثر يجب ان يعتبر متصلاً وغير منقطع. ويتبع ذلك بقول ترتليانس[3] انه لا يعرف

---

١) لنا ملاحظة في فاتحة هذا المقال وهي اننا لا نعوّل على نصوص بعض الكتب مثل: Les Canons d'Hyppolyte, La Constitution Apostolique Egyptienne, le Testament du Seigneur. لاننا لا يمكننا ان نحقق بتأكيد زمان تأليفها.

٢) *Cf.* H. E. V, 25 ; *Patrologie Grecque* (Migne) t. XX, col. 501

٣) Tertullien : *De Jejunio*, 2, 13. 14 : *De Oratione*, 18.

صوماً فرضته الكنيسة الكاثوليكية غيرَ يوم عيد الفصح ، وذلك حسب المعنى الخاصّ الذي يفهم به كلمة « الفصح » ، اي يوم الجمعة العظيمة. وتشهد ملفان الكنيسة الافريقية ان الصوم كان يشمل فقط الايام التي ارتفع فيها العروس اي يومي الجمعة والسبت حتى صباح الاحد [١].

وفي القرن الثالث، امتدّ الصوم الى جمعة الآلام كلها كما يُستفاد من تصريحات القديس ديونيسيوس الاسكندري [٢] وكتاب *La Didascalie* [٣]. فهذا الكتاب يأمر: « من اليوم العاشر (من القمر) الذي هو الاثنين من الساعة التاسعة الى الخميس تصومون ولا تتناولون سوى الخبز والملح والماء . والجمعة والسبت تنقطعون بتاتاً عن الطعام ولا تتناولون شيئاً . » [٤]

فاذاً حتى النصف الثاني من القرن الثالث، لم يكن يمتدّ الصوم الّا الى ستة ايام، ولا نجد اثراً للصوم الاربعيني، [٥] بل نجد فقط صوماً استعدادياً لعيد الفصح او « صوماً فصحياً » [٦]

ولنصل الآن الى القرن الرابع . فما هو اول تصريح بين ايدينا اليوم

---

١) Cf. Mgr Duchesne: *Les Origines du culte Chrétien*, 2ᵉ édit. p. 231.

٢) Cf. *Patr. Gr.* t. X, col. 1277.

٣) Cf. *La Didascalie* par F. Nau p. 116.

٤) *Op. cit.* p. 120.

٥) لا ادري الى ما استند بولنجه (Boulanger) لأ كتب في تاريخه الكنسي صفحة ٩٥ (*Histoire de l'Eglise*, 1928, p. 95): « ان الصوم الاربعيني قد تمّ استعماله قبل انقضاء القرن الثالث ». ومورّه (Mourret) هو ايضاً يضع مبدأ الصوم الاربعيني في القرن الثاني. (اللائحة الحبرية *Liber Pontificalis* I vol. 129.) . فيقول مورّه في كتابه *Les Origines Chrétiennes*, 1914, p. 207: يُنسب الى البابا تلسفورس (Télesphore) وضع الصوم الاربعيني ، ويُفهَم بهذه الكلمات وضع قواعد لهذا الصوم ، لاننا متحققون من قول القديس ايريناوس ان ممارسات الصوم كانت سابقة للزمان الذي عاش فيه هذا البابا ، لكن نسبة هذه الشريعة الى البابا تلسفورس مغلوط فيها (Cf Mgr. Duchesne: *Le Liber Pontificalis* I, p. 129) وقول القديس ايريناوس اوقفنا عليه اوسابيوس وروفينوس . ويظهر ان مورّه اخذه عن روفينوس الذي اخرجه على غير وجهه.

٦) Mgr. Duchesne, *Origines du culte Chrétien*, p. 231, note 5.

يبثنا عن وجود الصوم الاربعيني ؟ اهو القانون الخامس من المجمع النيقاوي ؟ [1] وهل يمكن الاستناد اليه في اقرار هذا الصوم ؟

ان البعض من الكتاب استندوا الى ذلك ، كالسيد دوشين الذي يقول في كتابه المذكور ليس لدينا آثار عن الاربعينية (*Carême, Tessaraconta* *Quadragesima*) قبل القرن الرابع ، فاول نصّ يشير اليها هو القانون الخامس من المجمع النيقاوي ؛ وفونك (Funck) ؛ وفاكندارد (Vacandard) في مقالتين عن الصوم في المعجم اللاهوتي ومعجم العاديات والليتورجية المسيحية [2] ، ولكلر (Leclercq) في كتابه « تاريخ المجامع » [3] وآخرين كبولنجه ومورهٌ وديكونك (Deconinck) في مقالة في المجلة الكتابية [4] . ونخصّ بالذكر بين المتقدمين ، القانونيَّين البزنطينيَّين الكبيرين بلسمون ، وزوزاس اللذين هما ايضاً يريان في هذا القانون شهادة ناطقة عن الصوم الاربعيني .

على ان غيرهم كسلافيل [5] الذي تبعه في رأيه المؤرخ الشهير كرومباخر (Krumbacher) ينفون نسبة صحة الصوم الاربعيني الى هذا القانون . فعند

---

١) اليك تعريب هذا القانون حسبا وضعه سلافيل في اصداء الشرق *Echos d'Orient*, Mars 1910 p.63 . « بخصوص الذين حرموا سواء اكانوا اكليريكيين او عالميين، فالحكم الذي اصدره اساقفة كل مقاطعة هو : شريعة نافذة حسب القاعدة المطردة ان ما قطعه البعض لا يُقبل عند الآخرين . لكن يجب ان يبحث اذا كان الاسقف لم يترل الحرم لصغر نفس او روح خصام او عامل آخر من البغض . فراعاةً لدقة الفحص تبيّن انه يحسن ان يلتئم مجمع مرتين في السنة في كل مقاطعة . وبهذه الذريعة يتهيأ لاساقفة كل اقليم ان يجتمعوا ، فتفحص هذه القضايا كي يتجلى لعيون كل الذين كانوا على رأي الجميع في تراع مع الاسقف انهم قد حرموا عدلًا ، حتى يستحسن مجمع الاساقفة تخفيف هذا الحكم . فيجب ان يعقد هذان المجمعان : الاول قبل « الاربعينية » حتى اذا ازيل كل صغر نفس تقرب التقدمة الطاهرة الى الله ، والثاني ابَّان فصل الخريف . »

٢) *Dictionnaire de Théologie Catholique*, de Vacant, t. II, col. 1728. *Dictionnaire d'Archéologie et de Liturgie Chrétiennes*, de F. Cabrol, col. 2141.

٣) Leclercq, *Histoire des Conciles* t. I, p. 549, n. 2.

٤) *Revue Biblique*, 1910, p. 432.

٥) *Echos d'Orient*, Mars 1910, p. 63 sq.

سلاڤيل كلمة (Tessaracnota) « اربعينية » تشير الى اليوم الاربعيني بعد الفصح اي الى عيد الصعود ، كما كلمة (Pentecosta) « خمسينية » تدل على اليوم الخمسيني بعد الفصح ، اي عيد العنصرة.

وان كان قد تبع الرأي الاول جهابذة من اهل العلم ، فقد يبدو لنا ان الرأي الثاني ادنى الى الصواب (راجع البراهين في اصداء الشرق)[1] . وعلاوة على ذلك ان اصحاب الرأي الاول عندما تعترضهم الصعوبة الناجمة من ترجمة (Tessaraconta) بالصوم الاربعيني ، وهي انه بعد مدة مستطيلة لانعقاد المجمع النيقاوي لم يكن الصوم الاربعيني منتشراً وهذا غير ممكن مطابقته مع شريعة فرضها مجمع مسكوني ، يحاولون ايجاد ترجمة اخرى . ففونك (Funck) يلتج ، ببعض التحرّز وبدون الحاح مثلما يقول ، الى تصحيح متأخر . فقد يكون القانون احتوى اولاً على كلمة «خمسينية» ثم ان بعض الايدي الطائشة وضعت لنا كلمة « اربعينية » وهذا الرأي يشير اليه بلسون ويفنده.

على انه وان لم توجد في القانون الخامس من المجمع النيقاوي بيّنة جلية على وجود الصوم الاربعيني ، فذلك لا يدعونا ان ننكر مطلقاً وجود الصوم في النصف الاول من القرن الرابع . لانه ، في هذه الحقبة ، لدينا تصريحات جمة تبرهن لنا وجود الصوم ، وسنوقفك عليها ، ايها القارئ ، فيما بعد. لكن يجب ان نتحاشى عن الغلو الذي لم يتحاماه بعض الكتاب الذين سبق الى وهمهم ان الصوم الاربعيني كان عاماً في الربع الاول من هذا القرن . وكلهم يجمعون على صحة نسبته الى القانون الخامس من المجمع النيقاوي . ومنهم بيڤيريدج (Beveridge) الذي ، بعد ان ذكر المقاطعات الكنسية التي مثلت في المجمع النيقاوي ، استنتج : ان الصوم الاربعيني كان ممارساً فيها كلها ، لا بل في العالم المسيحي اجمع. ومورّه يجمل الصوم الاربعيني قبل القرن الرابع . فعلى رأيه ان المجمع النيقاوي وضع كيفية ممارسة الصوم في الكنيسة كلها. وبولانجيه يقول بانتشار الصوم قبل الفصح في الكنيسة كلها في اواخر القرن الثالث.

لكننا قد الممنا الى ما يجب فهمه من قانون المجمع . اذاً لا يمكننا التعويل

---

(١) *Echos d'Orient*, 1910, p. 63 et. 1911 p. 353 sq.

عليه لنبني حكماً على الصوم الاربعيني في مهد النصرانية . فيليق بنا بعد هذا التمهيد المسهب ان نلج الموضوع ونبحث :

١° هل يوجد صوم اربعيني في القرن الرابع في انطاكية ، واورشليم ، والاسكندرية ، وروما ؟

٢° كم كانت مدته ؟

٣° كيفية ممارسته.

اولا : وجود الصوم

١ – في انطاكية

كثيراً ما يشير الذهبي الفم الى الصوم الاربعيني في مواعظه الاحدى والعشرين الى الشعب الانطاكي (٣٨٧) وفي خطبه عن الاماتة والتوبة (٣٩٥) [١] :

ثم ان كتاب الدساتير الرسولية (*Les Constitutions Apostoliques*) وهو من اواخر القرن الرابع ، ينبئ عن عوائد السوريين ، فيقول: « بعد انقضاء ايام الفطاس يجب ان تمارسوا الصوم الاربعيني.» [٢]

٢ – في اورشليم

وجود الصوم الاربعيني في اورشليم يتكلم عنه القديس كيرلس في مواعظه الموجهة الى المتأهبين لقبول سر المعمودية (٣٤٨)[٣] والسائحة اتيريا (Ethérie)[٤] التي أمت الاراضي المقدسة بين السنتين ٣٨٥ و٣٩٦. ونحن لا نحاول الاسهاب في القول عن هذه التصريحات لاننا سنعود اليها في القسم الثاني والثالث من هذه المقالة.

---

١) Cf. *Homel. XVIII ad Pop. Ant.*, 1 ; *Bareille II*, p. 155. *Homel XVI, ad Pop. Ant.* 6. *Bareille II* p. 145. *Contra Judaeos III*, 4 *P. G.* t. XLIII. *Homel XXX in Gen.* 1 ; *P. G.* t. LIII cal. 273.

٢) Livre V, chap. XIII ; cf Pitra : *Juris ecclesiastici graecorum Historia et Monumenta*, Romae, 1864. p. 279.

٣) Procath. c. IV ; *P. G.* t. XLVIII, col 865.

٤) Cf. « *Peregrinatio* » en appendice à l'ouvrage de Mgr Duchesne « *Les Origines du culte Chrétien* » p. 478 sq.

٣ – في الاسكندرية

اما الكنيسة الاسكندرية فاول بيان نجده فيها عن حقيقة الصوم الاربعيني كقانون يجب اتمامه[١] مأخوذ من الرسائل الفصحية للقديس اثناسيوس ، نحو سنة ٣٣٠

وهل نستطيع ان نورد هذه الشهادة لاوريجانس عن وجود الصوم اذ قال: « عندنا اربعون يوماً مكرّسة للصوم؟ »[٢] كلا لكون هذا التصريح لا قوة له ، لانه من وضع روفينوس. فالعظة العاشرة على سفر الاحبار حيث اخذ هذا النص لم تنتهِ الينا الّا مجدّدة من روفينوس[٣] . لكن هذه الفقرة لا تخلو من دلالة على وجود الصوم في عهد روفينوس.

٤ – في رومية

يتبادر هنا ايضاً الى الذهن ان الصوم فيها عريق في تقدمه لان البابا لاون (٤٤٠–٤٦١) يعزو ابتداء الصوم الى عهد رسولي فيقول :« حتى تتم الشريعة الرسولية عن الصوم الاربعيني[٤] ». على ان القديسين لاون وايرونيموس لم يصيبا في حقيقة اصل الصوم. ترجّح ذلك لان آباء كنيسة الاجيال الثلاثة الاولى لم يوردوا كلمة واحدة عن الصوم الاربعيني . وهنا لا نضعف شيئاً من قوة شهادة الآباء لانه مثلما قاله P. de Smedt: « الآباء الاولون يعوّل عليهم في التقليد

١) قولنا قانون يجب اتمامه لان الصوم لم يكن يراعي حفظه مسيحيو مصر كما يقتضى ، ولذا نرى القديس اثناسيوس يؤنبهم على هذا التهامل سنة ٣٤١ ».

٢) Cf. *P. G.* t. XII, col. 528.

٣) ويعزى الى روفينوس ايضاً تصحيف شهادة اخرى عن الصوم الاربعيني ، اذا لم يأبه لما النارئ ، ولم يكن ذا المام كافٍ بالتاريخ ، يظن ان الصوم الأربعيني كان مستعملاً في القرن الثاني . فالقديس ايريناوس في فقرة اوقفنا عليها اوسابيوس (*H. E.* l. V, col. XXIV, *P. G.* t. XX, col. 501) يقول البعض (من معلمي الديانة) كانوا يظنون بوجوب صوم يوم واحد . . . وغيرهم اخيراً كانوا يمدّونه الى اربعين ساعة » فروفينوس قد بدّل هذه الفقرة عن غير عمد وجعل الاربعين ساعة اربعين يوماً (*P. G.* t. XX, col 502, note 78.) .

٤) ويقرب من هذه الشهادة تصريح للقديس ايرونيموس *Homel.* IV, 1 ; *P. L.* LIV, (col. 288 *Ep. XLI*, n. 3) *ad Marcellam*, *P. L.* t. XXII, col 475.

الاعتقادي في الامكنة والازمنة التي عاشوا فيها ، لكن ليست لهم سلطة خاصة في الآثار التاريخية . »[1] ورأينا فيما سبق ما الـذي يجب ان نفهمه من اللائحة الحبرية التي تعزو الى البابا تلسفوروس وضع شريعة الصوم الاربعيني .

وليس لدينا على كنيسة رومية بيّنات ساطعة عن حقيقة الصوم الاربعيني من كتبة القرن الرابع . على اننا نستطيع الجزم انه كان موجودًا فيها اقلّه سنة ٣٤٠ .[2] ونستنتج ذلك مما عمله القديس اثناسيوس . فانه في لبوثه في رومية في السنة المذكورة وما بعدها لامه الرومانيون لان رعيته كانت تجتزئ بصوم جمعة الآلام فقط ، فتقدّم الى شعبه بانجاز الصوم الاربعيني كاملًا . فاذا كان الرومانيون قد القوا اللائمة على المصريين لاكتفائهم بصوم اسبوع يستنتج ولا مراء ان صومهم كان اطول ؛ واذا كان القديس اثناسيوس امر شعبه ان يكمّلوا الصوم اربعين يوماً يُظنّ انه تقدّم الى شعبه فيما شاهده في عاصمة العالم المسيحي .

(للبحث صلة)

---

١) Revue des questions historiques, 1888, t. II, p. 331.

٢) هل يمكننا استنادًا الى فقرة مرقومة على شخص القديس هيبوليت (Hippolyte) وهي : « ويجب ان ينقطع الصوم اذا داخله يوم احد . » ان نستدلّ بوجود الصوم في كنيسة رومة في منتصف القرن الثالث ؟ لا نستطيع ذلك فهذه الفقرة تبرهن بامكان امتداد الصوم الى اكثر من سبتة ، ليس غير .

ابن رشد و« تهافت التهافت »

بقلم الاب توتل اليسوعي

خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين

ان المدرسيين او « السكولاستيك » (Les Scolastiques) بالاصطلاح الفلسفي التاريخي هم فلاسفة القرون الوسطى . دُعوا بهذا الاسم لعكفهم على الدرس باساليب مخصوصة بمدارسهم ، اصولها التفسير والشرح : في تعليم الصرف والنحو ، والبيان ، والخطابة ، والهيئة ، والفلسفة الارسطاطالية . كيف بلغت الى الافرنج كتب ارسطاطاليس ؟ هل قرأوها بمتنها اليوناني ، او منقولة الى غيرها من اللغات ؟ هذا مشكل لم يحل بعد بالتمام ، ولكن ما لا ريب فيه ان الفلاسفة المدرسيين الافرنج ، وكبيرهم القديس توما اللاهوتي ، قرأوا ارسطاطاليس على الفلاسفة العرب وبالخصوص على الفيلسوف ابن رشد ، شارح ارسطو الشهير « Commentator ».

ان القرون الوسطى كانت عصر الفلسفة العربية الذهبي ، وفيها سطع نور المفكرين العظام كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد . وهؤلاء بعد ان اخذوا عن السريان المسيحيين معربات مؤلفات اليونان ، اعملوا فيها الروية ودرسوها ودرّسوها وافادوا بها الافرنج ، فحلّوا في تاريخ الفلسفة العام مقاماً لا يزال يعلو ويرتفع في اعين الباحثين في معرفة العلائق الرابطة بين المدرسيين اللاتين والمدرسيين العرب . فلذلك قد اشرأبت اعناق الافرنج من مؤلفي تاريخ فلسفة القرون الوسطى وطلابها

الى مطالعة كتب الفلاسفة العرب ، ليس فقط في المجلدات اللاتينية الضخمة ، النادرة الوجود ، المستعجم فهمها لما في ترجماتها من المغالط والمغامض، البعيدة عن الوفاء بما يقتضيه البحث العلمي العصري في النشر ؛ ولكن على قراءتها والرجوع اليها في متنها العربي الاصلي.

ومن هؤلاء الغيُر على رقي العلوم الفلسفية الكردينال اهرله اليسوعي، وقد قضى اربعين سنة يناشد المستعربين القيام بنشر كتب فلاسفة العرب ، ومثله المرحوم الاب مرسل شوا اليسوعي ، استاذ الفلسفة المدرسية وجامع موادّ تاريخها . فقد طالما استحثّ همم تلامذته المتضلّعين من اللغة العربية على السعي في بعث مؤلفات فلاسفة العرب الى عالم النور ولكن المنية حالت دون الاستاذ ورؤيته تحقيق رغائبه . على ان فكرته لم تمت ، وها انها تتحقق على يد احد تلامذته ، حضرة الاب موريس بويج اليسوعي اذ شرع بنشر خزانة الفلاسفة العرب (*Bibliotheca Arabica Scolasticorum*)

وليس المشروع ليهمّ رجال الفلسفة المدرسية فقط بل عامة المستشرقين ايضاً ، لانهم اذا نسوا او تجاهلوا هذه الناحية من انحاء الادب العربي اهملوا استنباط كنز ادّخره للخلف جهدُ الاوائل ، وقطعوا حلقة من السلسلة الرابطة القديم بالحديث ، فضربوا صفحاً عن اعزّ امجاد العرب.

ولذلك ، لما عرض الاب بويج فكرة نشر خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين، على مؤتمر المستشرقين السابع عشر ، المنعقد في اوكسفرد سنة ١٩٢٨ ، واعلن عزم المطبعة الكاثوليكية على القيام بالمشروع ، واستنجد عليه بتشجيع المؤتمرين ومؤازرتهم ، لم يرَ منهم الا الاستحسان والموافقة باجماع الآراء على رأيه. وكان قد اظهر سنة ١٩٢٧ اول مجلد من « الخزانة » وهو الحلقة الثانية من سلسلتها: كتاب «تهافت الفلاسفة » للغزالي[1] فلفت انظار المستشرقين وحلّ محلًا رفيعاً في وصف المجلات العلمية فأطرأوا كتاباته وحيّوا به طليعة عهد تجدّد في درس الفلاسفة العرب. وها ان الحلقة الثالثة من « الخزانة » ظهرت العام الماضي وهي كتاب ابن رشد « تهافت التهافت » .

١) راجع المشرق (٢٥[١٩٢٧]٦٢٣)

ولما كانت النهضة الحديثة قد استمالت الناس في البلاد العربية الى مطالعة روائع الادب ليس فقط في الشعر والتاريخ ولكن في الفلسفة ايضاً، وكان حظّ لبنان من هذا التجدّد المبارك اوفر من حظّ غيره اذ انه خصص سنة كاملة من المادّة العربية في برنامج البكالوريا لدرس فلاسفة العرب، كانه بهذه العناية المفيدة اراد أن يعوّض على مفكري العربية العظام ما نالهم من الحيف من تناسي الايام جهودهم ومحامدهم، اصبحت كل فرصة للكلام في ذلك الموضوع الخطير، مقبولة وفي اوانها كالزهرة في ربيعها. وقد يستحسنا انتهاز تلك الفرصة، والكتب العربية الحديثة في هذه الناحية من المعارف لا تزال نادرة، قاصرة؛ والكتاب الظاهر حديثاً الذي عنينا بوصفه جدير بان يوفى حقه من الاعتبار والدرس.

تهافت التهافت

في السنة ١٠٩٥ اتم الغزالي كتابه « تهافت الفلاسفة » وقد ردّ فيه على ما رآه في تعاليمهم غير موافق للحقيقة. فانكر عليهم قولهم بقدم العالم وابديّته وتليلهم، او وضعهم موضع الشك، ان الله هو خالق العالم وقال انهم، اذا اعتقدوا وجود العالم منذ القِدَم، اضطُرّوا الى القول بوجود مبدأين ازليين او اثنين... الى غير ذلك من المسائل التي بلغت عدد العشرين (راجع قاموس فرنك الافرنجي الفلسفي في مادة « غزالي »). فلما بلغ مؤلّف الغزالي الى الغرب اضطرب له فلاسفتها، واشهرهم ابن رشد القُرطبي. فتناول الكتاب وعرضه على محكّ النقد الدقيق وردّ عليه بكتاب آخر، عنونه « تهافت التهافت » وهو الذي نعنى به الآن.

وسكت الرأي العامّ الاسلامي عن ظهور كتاب ابن رشد وتناساه. وسدل اكثر مؤرخي الآداب العربية حجاب النسيان على اسمه واسماء غيره من ائمة الفلاسفة المسلمين، ولم يذكره الحاج خليفة الا تلميحاً في سياق كلامه على الغزالي. اما الافرنج فقدروا الكتاب حق قدره ونقلوه الى اللاتينية والعبرية وطبعوه. ولم تظهر طبعته العربية لاول مرة الا في مصر، في المطبعة الاعلامية،

سنة ١٨٨٥ . وهيهات ان تفي الكتاب حقه من الاتقان الذي لا غنى عنه لادراك صميم افكار الفيلسوف. وتلت تلك الطبعة طبعات عربية غيرها منها واحدة في المطبعة الخيرية (١٩٠١–١٩٠٢) واخرى لمصطفى البابي الحلبي (١٩٠٤) وما كانت لتروي غليل روّاد الفيلسوف الكبير ، من مطالعته بالسهولة المرغوبة والاسلوب العلمي الكامل . فكانت الحاجة مسيسة الى الطبعة التي نحن في صددها .

طبعة الاب بويج

درس الاب بويج العبرية واتقن العربية ، وتضلّع من الفلسفة المدرسية ، واعدّ ترجمة افرنسية لكتاب « تهافت » الغزالي و«تهافت التهافت » لابن رشد ، ومهّد السبيل الى الاحاطة بموضوعه من سائر وجوهه في المقالات التي نشرها في « ابحاث كلية القديس يوسف» (*Mél. Fac. Or.* T. III, VII, VIII, IX) فضلاً عن طبعته لتهافت الغزالي العربية (سنة ١٩٢٧) . وجال في مكاتب اوربة والشرق مفتّشاً عن المخطوطات الواجب الاعتماد عليها للقيام بمهمّته . ولما ادرك مناه طبع كتابه « تهافت التهافت » وهو مجلد ضخم ، قطعه مثمن كبير ، عدد صفحاته ٧٠٠ ونيف ، اظهرته المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، خلال العام ١٩٣٠ ، وهو الثالث من « خزانة الفلاسفة العرب المدرسيين » .

صدّره الناشر باربعين صفحة عرّفنا فيها بابن رشد ومنزلته ، وطريقة معالجته المشاكل الفلسفية في ردّه على الغزالي ، ومكانة كتابه «تهافت التهافت» في الفلسفة العربية . واثبت حقيقة نسبته الى مؤلفه ، ومال الى تأريخ صدوره قبل السنة ١١٨٠ م ؛ وللكتاب في المخطوطات القديمة شتى العناوين ، فاختار الناشر اسم « تهافت التهافت » دون غيره ، وهو المرسوم على نسخة قديمة والمنقول الينا بالترجمات اللاتينية والعبرية ، والاحرى بغرض مؤلفه ، والاكثر شيوعاً في المؤلفات الموضوعة على ابن رشد .

اما الوثائق التي اخذ عنها الاب بويج متن الكتاب الاساسي فمنها العربية ومنها الاعجمية . فمن العربية المخطوطات ، واهمها ثلاثة في القسطنطينية : الاول

نسخته I (عدد ٧٣٤) في يكي جامع وتاريخه في سنة ١٥٣٧م ٩٤٣هـ ، والثاني
نسخته A (عدد ١٥٨٢) في مكتبة شهيد علي باشا وتاريخه في سنة ١٥٥٩م
٩٦٦هـ ، والثالث نسخته T (عدد ٢٤٩٠) في مكتبة لالي جامع وتاريخه نحو
١٧٠٠م ؛ وغيرها. ومن المطبوعات طبعة القاهرة ١٨٨٥م ١٣٠٢هـ وغيرها، وبعض
ما رُوي عن ابن رشد عرضاً وأُدرج في كتب غيره وساعد على اثبات متن
«تهافت التهافت».

ومن المصادر الاعجمية الترجمات العبرية فانها على جانب عظيم من الاهمية.
وقد تقوم مقام المتن العربي لصدق نقلها وامانتها ، ويرتقي عهدها الى القرن
الرابع عشر ، والترجمة اللاتينية القديمة وهي منقولة مباشرة عن العربية... اما
غيرها فقد نقل عن العبرية.

هذه الوثائق وغيرها من نصوص «تهافت التهافت» الواردة عرضاً في روايات
كتب الفلسفة ، راجعها الناشر واعمل فيها الروية ونشر عنها متن الكتاب معلّماً
في كلّ صفحة من صفحاته بالعلامات التي اصطلح عليها والقارئ كل المواضع
المفيد الانتباه لها ، باذلاً قصوى الجهد في الكشف على متن الكتاب الاصلي
عسى ان يستعيض به القارئ عن نسخته الاولى الضائعة.

ولم يتكلّف الناشر مؤونة النشر فقط ، بل فتح ايضاً لروّاد كتابه مجالاً
لمباحث واسعة واخذ على عاتقه ان يدأَّهم عليها متقناً فهرست المسائل ، مميّزاً
بنودها بانتقاء حروف المطبعة وتنويعها لفتاً لنظر القراء اليها ، ووضع الجداول ،
هداية الى المقابلة بين «تهافت» الغزالي وردّ ابن رشد عليه ، والى معرفة الاعلام
واسماء الكتب الوارد ذكرها ، واهم القضايا التي عالجها كل من الغزالي (وهي
٨٨١) وابن رشد (وهي ٨١٥) مع قاموس معاني الالفاظ الفلسفية، ولائحة القواعد
او الشواذات النحوية الخاصة بابن رشد ومعجم الموادّ العامّ مرتباً باللغة والابجدية
اللاتينية مسهلاً بذلك مراجعة الكتاب لطلابه الافرنج المدرسيين.

اما بعد ، وقد تعرفنا الى الكتاب في ظواهره ، فهلمّ نكشف على لبابه
ونستشع من نبراسه شعاعاً يرشدنا الى البحث في امهات مشاكله. ان مجال مقالنا
اضيق من ان نطمح الى استيعاب الموضوع ، وهو النقطة المركزية لدائرة العلوم

الفلسفية منذ نشأتها الى يومنا ، ولكن الفرصة سعيدة فمن الحيف ان تفلت.

فحوى الكتاب وموقف ابن رشد تجاه الدين

وقد يمكننا ضمّ العشرين مسئلة الموضوعة على بساط البحث بين الغزالي وابن رشد الى ثلاثة فصول شاملة: اولها يعني امر انشاء العالم (المسئلة ١) والزمان والحركة ، والمصير (٢) ، والبحث في هل للعالم نهاية اولا فنتعمق بمعرفة فاعل العالم (٣) ووجوده (٤) وصفاته (٥) وعلاقاته مع العالم (٦–١٥) ، وعلمه وتدبيره (١١–١٤) . اما الفصل الثاني ، فيبحث في النفس وروحانيتها وخلودها (١٨–١٩). والفصل الثالث الاخير يخص المسئلة العشرين بحشر الاجساد . وهناك في الكتاب مباحث شتى في السماوات والافلاك وتأثيراتها في عالم البشر وعقولهم . (١٥–١٧)

وان هذه المسائل لأهم ما يشغل فكر المفكرين ؛ وعليها دار الجدال بين ابي حامد وبين ابي الوليد . ولا شكّ انك لاول نظرة تحيّزتَ الى الغزالي، الإمام الورع التقي ، وقلت لا بد انه مدافع عن الحق، فامسى خصمه خصمك فمقتّ ابن رشد وفلسفته .

ولدتَ ناحياً وحدك هذا النحو من التطرّف لان ابن رشد صار على مدى الايام هدفاً للمناقضات ، كما قلنا ، فلا بد ، اذن ، من كلمة على حقيقة مذهبه الفلسفي قبل الاقبال على قراءته.

قلنا ان ابن رشد اختصّ بدرس الفلسفة الارسطاطالية وشرحها . واننا نعلم ان ارسطاطاليس كان استاذ المدرسيين الاوحد في القرون الوسطى وانهم قرأوه في الغالب على شارحه العربي . فعالجوا مسائل خلق العالم ومصيره وامر الثواب والعقاب في ظل ابن رشد تارة مستأمنينه، وطوراً خارجين عنه ، فتناقشوا في مواضيع اقواله وذهبوا فيها شتى المذاهب، حتى زاغ بعضهم عن الحق والجأوا رجال الدين الى التدخل في امور تعاليمهم الفلسفية والتحذير عليهم نشر ما ضلّ من آرائها المفسدة النفوس . كيف لا والبعض من المبتدعين فرّطوا الى ان وضعوا موضع الشك امر وجود الله وخلود النفس والثواب والعقاب ، ناقضين

مبادئ الدين والعقل السليم ، وهم في ذلك محتجون باسم ابن رشد . فجرّوا عليه تبعة الكفر والالحاد ، وهو براء مما يتهمونه به لانه لم يتطرف الى ذلك الحدّ . هذا ما بيّنه رينان في كتابه على ابن رشد « والرشدية » (Averroès et l'Averroïsme) لكنه لم يمسح عن ذكرى الفيلسوف العربي وصمة الافراط بتفضيل المعرفة العقلية الطبيعية على المعرفة المأخوذة من كتب الوحي . وجاء المحدّثون ، فاعادوا النظر في فلسفة ابن رشد وتأثيراتها . ومنهم من نحا نحو رينان[1] مثل مونك ودي بور ؛ ومنهم من خالفه ، كيهرن وأسين بلاثيوس ؛ فانهما نسبا الى ابن رشد تفضيل المعرفة الدينية بالوحي على المعرفة العقلية الطبيعية . وجاء اخيرًا غوطيه (Gauthier) ففصل في الجواب فصولًا وقال في كتابه على « نظرات ابن رشد في التوفيق بين الدين والفلسفة » (ص ١٨١) ما خلاصته : يتساءلون كيف كان موقف ابي الوليد تجاه الوحي وتجاه العقل . هل خفض من مكانة الدين او من مكانة الفلسفة ؟ ومضى غوطيه مفتشًا عن الحقيقة لا في اقوال مبتورة عن قرائنها ، متضاربة المعاني ، ولكن فيما رآه مفتاحًا اخذه العرب عن اليونان واقبلوا يفتحون به ابواب الوصول الى التوفيق بين العلم والايمان والفلسفة والدين وانما هو في نظره ، التعليم على « الاقاويل » الثلاثة . وقد يفيدنا معرفته عسى ان نستعين به على قراءة « تهافت التهافت » . قال :

« أن مؤرخي الفلسفة الاسلامية اجمعين ، لما درسوا ، في ابن رشد وسائر الفلاسفة زملائه ، امر العلاقات بين الفلسفة والدين لم يقدروا حق قدرها التصوّرات الاساسية التي اتفق عليها الفلاسفة العرب اجمعين . ان العرب بعد اليونان قسموا الاقاويل او الاقيسة في الجدال الى ثلاثة انواع ١ً القول اليقيني او البرهان ، وهو المولّد اليقين في عقول الفلاسفة عند اخذهم مقدمات القياس المنطقي عن التعليم العقلي ، بغض النظر عن تعليم ديني . ٢ً القول الاقناعي وهو المتوخى ردى العقول التي هي دون عقول الفلاسفة مقدرة وفوق عقول العامة طاقة ، وهم الفقهاء وعلماء الشريعة ومفسرو كتب الدين ، بالقياس الآخذ احدى

---

١) ومنهم فرح انطون في كتابه على ابن رشد وفلسفته . قال (ص ١٣٢) : ان ابا الوليد « يجعل الدين تابعًا وخادمًا للعلم يؤوّله كما يشاء ويفسره كما يجب »

قضيته من تعليم الوحي، وان هذا القول كافٍ لاقناع الفقهاء وامثالهم. و٣ً القول التصديقي وهو الآخذ مقدمتيه من حالة المخاطب العقلية وعواطفه واستعداده الى قبول النتيجة المرغوب فيها والكافية لحياته العملية وهي ان يصدق قول العلماء والفقهاء والخطباء وشروحهم ويرتاح لها ويعمل بموجبها»[1].

وقد نبه ابن رشد الى هذا التقسيم في صدر كتاب « تهافت التهافت » اذ قال ان غرضه ان يبين مراتب الاقاويل المثبتة في كتاب التهافت (للغزالي) في التصديق والاقناع وقصور اكثرها عن مرتبة اليقين والبرهان.

فمن ثم ينتج ان ابن رشد نقد الغزالي لا حطاً من مكانة الدين وتعاليمه ورجاله ولكن انتصاراً لمبادئ رآها اساساً لدرس الفلسفة.

وفي جملة ما لام عليه ابا حامد انه حاول تقريب مناهل الحكمة الى عقول العامة فلامه على ابتذاله الفلسفة ، وودّ لو بقيت سلطانة العلوم محصنة في برجها العالي فلا تنصرف اليها الا العقول السامية.

وعسى ان تنجلي لنا الحقيقة باجلى تبيان فنعود ونبحث في مسألة قِدَم العالم ونسمع مناقشة ابي الوليد ابا حامد عليها ، في عدد آتٍ ان شاء الله !

---

١) راجع المشرق : (٢٩[١٩٣١] ١٩١، ١٩٢) ، حي بن يقظان وفلسفة ابن طفيل.



بيروت قبل مائة سنة

اول رسالة كتبها الاب ريكادونا اليسوعي
بعد وصوله الى بيروت سنة ١٨٣١
عرّبها ونشرها فؤاد افرام البستاني

توطئة

من يَجُل اليوم في عاصمتنا ، فيُسرع خطاه في شوارعها المزدحمة ، وينقل طرفه في بناياتها الشامخة ، ويتفقد مؤسساتها العصرية ، فيتحقق تلك الحياة السارية في جميع مناطقها ، ويعجب بتلك الحركة المتزايدة في مختلف اعمالها ؛ لا يمكنه بسهولة ان يتصوّر ما كانت عليه بيروت قبل مائة سنة . مدينة صغيرة ، بل بلدة لا يتجاوز سكانها العشرة آلاف الّا قليلًا يعيشون ضمن اسوار متداعية لا يتّسع محيطها عن الدائرة المحدودة اليوم بالمرفأ ، فباب ادريس ، فنقطة السور ، فالبرج ، فاول حيّ المدوّر . هكذا كانت تظهر بيروت قبل مائة سنة . نعرف ذلك من اقوال المؤرخين ، ومن رسائل مَن زارها من السيّاح اذ ذاك ؛ ومنهم الشاعر الفرنسي المعروف الفونس دي لامرتين ، الذي نزل في بيت قائم في الجهة التي ندعوها في عصرنا حيّ مار مارون ، شمالي النادي الكاثوليكي . ولا يخفى ان هذه النقطة هي اليوم في قلب المدينة . اما قبل مائة سنة فكانت بعيدة عن بيروت كما يُستفاد مما كتبه الشاعر المذكور اذ قال انه نزل في « بيت منفرد ، على نحو عشر او خمس عشرة دقيقة عن المدينة » .

اما مظاهر المدينة وزيّ اهلها اذ ذاك ، وعاداتهم في استقبال الضيوف ، وطرق معيشتهم ، فتظهر لنا ببعض جلاء من رسالة بعث بها الاب ريكادونا

اليسوعي الى اخوته الرهبان في رومة ، على اثر نزوله في ثغر بيروت سنة١٨٣١ . وهو الاثر الذي رأينا تعريبه ونشره اليوم ، بمناسبة مرور مائة سنة على تجديد رسالة الآباء اليسوعيين في لبنان وسورية.

وصل اليسوعيون الثلاثة الى عاصمتنا في ١٣ تشرين الثاني ١٨٣١ ، فاستغربوا كلّ ما رأوه في اسواق المدينة ، وفي ازياء سكّانها ، وفي مرافق حياتهم ، وفي مناظر طبيعتهم ، حتى كانت ملامستهم الاولى للبلاد تُلخص بلفظة « الاستغراب » . ولا عجب في ذلك فان الشقّة كانت بعيدة جدًّا بين حياة الشرق وحياة الغرب اذ ذاك ، حتى كان ذاك البعد كثيرًا ما يجرّ الى المعاكسة. فبينما كان الشرقيون ، اذا دخلوا زائرين احد المنازل ، يخلعون احذيتهم ويحتفظون بعمائمهم ، كان الغربيون يفعلون عكس ذلك ، اي يحتفظون باحذيتهم ويخلعون قبعاتهم. وبينما كان الشرقيون ، اذا جلسوا للطعام ، يبسطون الملاءة او الشرشف على الارض ويضعون فوقه الخوان ، «فصدر» الطعام ، كان الغربيون يأخذون بالعكس ايضاً فيضعون الخوان اولًا ، وعليه الشرشف ، فصحاف الطعام ... الى غير ذلك من الفروق التي قد نستغربها ، نحن اهل البلاد ، في عصرنا هذا ، فكيف بالافرنج قبل مائة سنة.

هذا ولو عاد اليوم الاب ريكادونا الى بيروت ، لرأى ان اللبنانيين لم يضيّعوا وقتهم طول هذا القرن الكامل ، وانهم ، ان يكونوا استفادوا الشيء الكثير من المدنية الحقة والترقي الصحيح ، فقد كان لخلفائه من اليسوعيين في ذلك فضل لا ينكره الّا الغامطون للنعمة المتعامون عن الحقّ ...

الرسالة

وهاك ، في ما يلي ، ما رأيناه جديرًا بالذكر من الرسالة الاولى :

« ... انه ليطول الشرح كثيرًا ان اردت ان اخبركم بكل ما لفت نظرنا من الغرائب عند وصولنا الى هذا العالم الجديد : طبيعة شائقة ، وسماء متلألئة ، وهواء نقي ، ومناخ لطيف ، واراضٍ بور تغطيها الرمال ، وبيوت صغيرة لا تكاد ترتفع عن سطح الارض . لا شوارع ، بل ازقة لا تكاد تصلح الّا

لمرور الجمال . اما السكان فيظهرون بالاردية الواسعة الفاقعة الالوان ، وبالعمائم الضخمة ، والزنانير العريضة ، والقلابين المتدلية حتى الارض ، وبالكثير من الشراريب ، والشرائط ، والريش ، والاقراط المعلقة بالآذان والانوف والشعور ، ثم بالخناجر والقدّارات . وهم يحلقون رؤوسهم الّا خصلة من الشعر في قنة الرأس يتركونها حتى تطول جدًا . وكذلك يطلقون لحاهم وشواربهم التي تلفت الانظار بطولها . وهم ابدًا عارو السيقان والاقدام حتى الاغنياء منهم . وفي البلاد كثير من الخيل والجمال. ولكننا لم نصادف مركبةً واحدة ، ولا عجلة ، حتى ولا دولابًا .

وهناك ايضًا كثير من الامور الغريبة التي يضيق الوقت عن تعدادها .

ولم نكد نصل الى البرّ حتى دارت بنا حلقة واسعة من العمائم والخناجر والقدّارات . فذكّرني هذا المشهد بما حصل لابوينا مانيللر وستيلًا اللذين كانا اول المرسلين الى هذه البلاد . فانهما لم يكادا ينزلان ثغر الاسكندرونة ، لابسَين مثلنا الثياب العربية ، حتى احاط بهما القوم ، وقبضوا عليهما ، وقادوهما الى امام الباشا ، فرماهما في السجن . ثم كان من حسن حظّهما أنهما أُخرجا وأُرجعا الى الشاطئ فشُحنا على مركب انكليزي بعد ان حُرّم عليهما النزول الّا في برّ فرنسة . واني اعترف لكم اننا شعرنا بشيء من الخوف اذ رأينا القوم يحيطون بنا ، حتى ان اثنين من رفقائنا ، احدهما طبيب والآخر مصوّر ، لم يمكنهما اخفاء مظاهر الرعب الذي استولى عليهما .

ولما كان القوم يتبعوننا بكثرة ، اخذنا نسير مطرقي العيون ، مضحّين بالشهوة التي كانت تدفعنا الى التأمل بالجمال وبغيرها من الغرائب التي كنا نصادفها لاول مرة . وكنا نقصد ، في سيرنا ، قناصل الدول الاوربية لنوصل اليهم ما كان معنا من رسائل التوصية العديدة .

حينئذٍ تقدّم رجل كاثوليكي ، كان مختبئًا بين جمهور المسلمين ، فصافحنا وطلب منا ان نتبعه الى منزله . وكان قد ادرك من مظاهرنا واماراتنا ، اننا نزيد في شيء عن السيّاح الاوربيين العاديّين . ولم يكن ليدور في خلدنا اننا نصادف صديقًا صالحًا كهذا الصديق . . . فتبعنا مضيفنا الكاثوليكي ، وكان

من كبار وجهاء بيروت غنى وكرامة . واسمه ايوب نصرالله ، ينتمي الى طائفة الروم ، ويتولى كتابة سرّ عبدالله باشا ، حاملاً لقب « المعلم » .

واذاع هذا السيد الفاضل بين جيرانه ومعارفه ان اليسوعيين عادوا الى الشرق ، ودعا الى منزله عددًا من الكاثوليك من مختلف الطوائف . اما نحن فكنا ، طبقاً لما أُلقي علينا من التعليمات ، نتنبه كل الانتباه لما يقوم به هؤلاء الزوّار من اواجبات ، كي نتقلدهم بدورنا على احسن ما يمكننا . فكانوا جميعاً ، دون ان يضعوا عمائمهم ، يجعلون يدهم اليمين على ركبتهم فعلى صدرهم ، فعلى فمهم ، فعلى جبينهم ، وينحنون حتى الارض تقريباً . وهذه طريقة التحية عندهم . ثم كانوا يجلسون القرفصاء مشبّكين سيقانهم على السجّاد الدمشقي المفروشة به الردهة .

ونحن كذلك ، اذ دخل ثلاثة خدم حفاة الاقدام ، مرتدين البسة فارسية ذات اوان فاقعة ، فقدّموا لنا في اقداح صغيرة نوعاً من الشراب وافر الحلاوة لم نعهده من قبل . وبعد ذلك اتى احدهم بابريق مملوء قهوة غاية في المرارة ، والثاني بهرم من الفناجين الصغيرة لا يتجاوز احدها نصف البيضة كبرًا وهي بدون صحون ، وتقدّم الثالث فكان يملأ الفناجين ويقدمها دون ان يضع فيها شيئاً من السكر . ولم يمضِ القليل حتى دخل عدد من الخدم يوازي عددنا ، حاملين غلايين طويلة كانت تصل الى الارض . فكانوا يولعونها ، ويسندون كلًا منها الى صحن صغير موضوع على السجّادة ، ويدخلون طرف ماسورته في فم كل منا ، وهم في ذلك يستعملون يدهم اليمنى فقط واضعين اليسرى على صدرهم علامة الاحترام . وكان بين الغلايين المستقيم والمنعكف على اشكال غريبة . وكان يخدم النساء ، وهنّ يدخنّ ايضاً ، جوار سوداوات او سمراوات . وكنّا حتى الآن قد نجحنا تقريباً بظاهر اواجبات وطرق المعاملات ، الّا في ما خصّ تشبيك السيقان اثناء القعود ، واستعمال الغليون . فلم نكد ننفخ بضع نفخات حتّى شعرنا بدوار قوي دفعنا الى طرح الغليون جانباً ، مما اثار الريبة والاستغراب لدى جميع الحاضرين .

. . . دارت الاحاديث على كل شيء . الّا اخبار اوربة او اخبار البلاد ؛

على كثرة المواضيع في هذه الشؤون... ولكن لم يعتبرنا مضيفونا الا كاصدقاء عاديين راجعين من اماكن الاصطياف ، فاقتصروا ، في احاديثهم ، على تعابير المجاملة الجارية : كيف حالك ؟ وماذا تخبرنا ؟ وهم في كل ذلك يستعملون صيغة المخاطب المفرد ، كما هي العادة هنا. وكان مَن يصل من الزائرين يبدأون بخلع احذيتهم ، بل (بوابيجهم) الحمراء او الصفراء ، على عتبة الباب حيث يتركونها كما فعلنا نحن ايضاً.

... وكم اودّ ان انقل اليكم وصف كل ما حدث في هذا النهار الاول لوصولنا ، وفي ما وليه من الايام ، بل وصف الطعام الذي كنا نتناوله على الارض ، في الفضاء الطلق ، وكيف كنا نشرب جميعنا من ناء واحد ، ونغدّ ايدينا الى صحفة واحدة ، فنتناول الواناً من الطعام تظهر في بلادنا غاية في الغرابة. وكيف كنا نضرب كلنا ، من وقت الى آخر ، على صحف الاكل ، ونغني صائحين : « نهارٌ مُبارك ! نهارٌ سعيد ! حفظكم الله ! واعطاكم الصحة وحفظها لكم ! »

شاءت هذه العائلة الصالحة ، عائلة نصرالله[1] ان تضيفنا مدة خمسة عشر يوماً ، تعرّفنا في خلالها ، نوعاً ما ، طريقة المعيشة العربية . وكثيراً ما كانت الاطعمة تعاكس ذوقنا حتى اننا كنا نشمئز منها فنفضّل عدم الاكل. ولم نلبث ان اصابنا في الركب اوجاع مؤلمة كانت نتيجة قعودنا القرفصاء مدة طويلة على الارض فوق سيقاننا المشبكة ...

ومدينة بيروت اسلامية باجمعها على التقريب ، وفيها ثلاثة جوامع. والمشهد الطبيعي في ذاك المستطيل من الارض المتقدّم بين بحرين الطف وابدع من مشهد پوزليپ[2] ... »

١) من ذرّية عائلة نصرالله في بيروت السيد سليم القرداحي، سبط المرحوم ايوب نصرالله . اما المنزل الذي استُقبل فيه الآباء اليسوعيون فباعته العائلة . ولكنه لا يزال قائماً على نحو مائة متر ، تحت كاتدرائية القديس جرجس المارونية ، الى ناحية سوق ابي النصر.

٢) پوزليپ : جبل في الجنوب الغربي من نابولي في ايطاليا ، مشهور بجمال مشاهده الطبيعية.

«الوهم في نظرية التطور»

كتاب للاستاذ لويس ڤيالتون

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي
استاذ الفلسفة في كلية القديس يوسف

١ الضجة حول الكتاب

كثيرًا ما يلهج ارباب البحث اليوم بازمة عارضة لنظرية التطوّر. ولكن هل هي ازمة الموت، ام ازمة النموّ والتقدّم؟ من شاء الجواب عن هذا السؤال فليقرأ كتاب الاستاذ لويس ڤيالتون: «اصل الكائنات الحية؛ الوهم في نظرية التطوّر.»[١]

لقد احدث هذا الكتاب تأثيرًا يُذكر. فقام اعداء «التطوّر» يُعلنون ظفرهم ضاجّين صاخبين. ولم يعد بالامكان اليوم، في عرفهم، ان تُنكر تلك النظرية الحيويّة باسم اللاهوت او باسم ما وراء الطبيعة وحدهما. اذ لم يبقَ لهذا الضرب من البراهين، كما يدّعون، الّا فائدة نوع على وشك الاضمحلال، فائدة بسيكولوجية او تاريخية... فعليهم اذًا ان ينتشوا عن براهين علمية خاصّة بالبحث، وعن رجال يمثّلون السلطة العلمية في هذه الموضوعات. والحال ان الاستاذ ڤيالتون من نوع هذه السلطات، ومن ضرب هذه البراهين، وهو افضل ما ظهر لهم فتبعوه...

واذًا فانهم اسرعوا الى قراءته في نشوة الظفر، بل اسرعوا في قراءته..

---

١) هذا عنوان الكتاب باللغة الفرنسوية: LOUIS VIALLETON, L'origine des êtres vivants, l'illusion transformiste. *Plon*, 1929 وقد طلبنا الى حضرة الاب سوانيون درسه، فأتانا بهذا المقال الذي بذلنا الجهد في تعريبه تعريبًا حرفيًا. ف.ا.ب.

فتصفحوه دون توقف . ولم التوقف؟ أوَ ليس العنوان الثنوي واضحاً صريحاً ؟ أوَ ليس في الكتاب من التعابير ما يظهر اقوى لهجة واقسى حكماً من ذاك العنوان ؟

علينا بالتأني ، ولا نتسرعنَّ في تكفين نظريّة « التطوّر » بالاستناد الى عنوان ثنوي ، ولا الى الكتاب . ولنبدأ بالقراءة ، فالتفهّم ، فالحكم بانفسنا ، على قدر الامكان ، على صحة ما يُعرض امامنا .

٢ مصطلحات الاستاذ ڤيالتون

من بديهيات النقد أنه على الناقد ان يفهم مراد المؤلف في التعبير الذي استعمله .

ومؤلفنا يقول : « نظرية التطوّر وهم . » حسن ! ولكن الاستاذ ڤيالتون يقول ايضاً ان « كلمة التطوّر (transformisme) تدلّ على مذهب حِيَلي (mécaniste) » (ص ٣٦١-٣٦٧) وانها « تدلّ على نظرية ظاهر عجزها عن القيام بما يُطلب عنها » (ص ٣٦٥) لانهـا « تزعم خروج عالم الاحياء من عبث القوى العمياء غير المسيّرة » (ص ٣٦٧) .

هذا وان مدلول الارتقاء (évolution) اقلّ ضبطاً في التحديد (ص ٣٣١) . اذ يقول المؤلف : « قد يمكن ان يكون ارتقاء حِيَلي كما قد يكون ارتقاء مُسيَّر (ص ٣٦١) : ويجب ان تفهم لفظة الارتقاء (في الاستعمال الجاري) على عكس ما تفهم به لفظة التطوّر » (ص ٣٦٣) .

واذاً فيكون ، والحالة هذه ، لا تطوّر ، بل ارتقاء في الكائنات الحية ؟
— نعم ! يجيبنا المؤلف .

٣ نظرية الاستاذ ڤيالتون الوضعية

١ – الارتقاءات الجزئية في الجماعات السفلى

لا يخفى ان التصنيف الحيوي ، او تصنيف الاحياء ، يتألف من جماعات متدرّجة مراتبها من اعلى الى اسفل ، متصلة حلقاتها بعضها ببعض من الشبه

حتى النوع الاخير . على ان جميع هذه المراتب لا تظهر بالمظهر نفسه اذا مـا اعتبرناها من حيث الارتقاء.

« اذا اعتبرنا الانواع والاجناس،فيمكننا،بل يجب علينا،ان نُقرّ بارتقاء حقيقي مستديم فيها،اي بان الامثلة (types) القديمة من الاحياء تتطوّر تطوّرات متتابعة متدرّجة.» وان في الطبيعة فئات ، او امثلة من الاحياء، متباينة كل التباين تمثل انواعاً بعينها ، وتكون قابلة للتنوّع دون شك ، بل قد تكون متفرّعة بعضها عن البعض الآخر . » (ص ١٧٥ ثم قابل ١٠ جا. في الصفحات I وII و٣٧٤) .

ويظهر ايضاً ان الاستاذ ڤيالتون يرى ان هذا الارتقاء قـد يحصل على طريقة حيكلية بحتة ، اي دون ادارة عاقلة، ولا قصد سابق ، ولا غاية.(ص ٣٦٥) بل قد ينتج ذلك بفعل التبليد وبتأثير الظروف الخارجية (ص I وII).

على انه يرى الامر على خلاف ذلك عند ما يخرج من هذه التشعّبات القليلة والمحدودة المجال (ص ٣٧٤).

وها نحن نتكلّم اولاً على الاصول الاولية.

ب — تعدّد الاعراق (Polygénisme).

لقد وُجد منذ البدء عدد كبير من الامثلة الحية المتميّزة بصفات خاصّة والمكمّلة بعضها البعض الآخر حتى تألف منها جميعاً « عـالم متميّز كامل اي مشتمل على جميع مراتب القوى والتنوّعات اللازمة لتأمين نشر مقدّرات الحياة افسح نشر.» (ص ٣٤٩) « وقد وجب وجود ما يبدع المواد العضوية ، اي كائنات يمكنها ان تستعمل هذه المادة في غاية غير التجميعات العضوية او الآلية ، وخصوصاً في اعمال الحسّ والحركة.» (ص ٣٦١).«ومما لا شك فيه ان اول عالم حيّ كان كاملاً متنوّعاً .» (ص ٣٦٢)

ج — الارتقاء العام

اذا جمعنا بين العلوم المختصة بدرس اشكال وانواع الحيوانات والنبـاتات المنقرضـة يدفع بنا ذلك الى ان نميّز بين الجماعات العليا امثلة ندعوها ترتيبية (types d'organisation) واخرى ندعوها صورية (types formels) .

ثم نرى ان الامثلة الترتيبية ، وهي الاولية ، قليلة العدد لا تتجـاوز الستين في

المملكة الحيوانية بكلها قديمة. وقد كان ارتقاؤها - ان كان حصل لها ارتقاء - قديماً وسريعاً. «وان كانت هذه الافراد تتفرع حقاً عن خلية اصلية، فان التطورات التي لزمت لتسير بتلك الخلية الى الامثلة تؤلف بالحقيقة ارتقاء عظيماً اسرع بما لا يُقاس من الارتقاءات التي حصلت في ما ولي ذلك من الزمان» (ص ٢٢٩)

اما الامثلة الصورية فانها تقابل العائلات او الاشكال المختلفة التي يمكن ان يتشكل بها مثال ترتيبي من الفئة الاولى. وقد امكنها ان ترتقي على مدة اطول. فظهرت بالتدريج مرتقية شيئاً فشيئاً (ص ٣٠٠-٣٥١). وهذه الامثلة، نراها اقل تغيّراً من الانواع التي تظهر كانها تطوراتها العرضية (ص ١٧٦-٣٠٦)

وان هذه الامثلة الصورية (التي يدعوها الاستاذ ڤيالتون بعض الاحيان «انواعاً» متوسعاً بمعنى هذه اللفظة) تدل على جواهر (substances) اي على اشياء «يمكنها ان توجد بذاتها» و«هي كائنات حقيقية ... واشخاص تسود الاشياء ... يقابل كل منها فكرة افلاطونية او فكرةً مُبدعة.» (ص ٣٠٦ و٣٠٧). فاي غرابة، والحالة هذه، في ان يكون لهذه الامثلة ارتقاء كما للافراد ؟

ولكن كيف نشرح اصل هذه المخلوقات ؟

هل خُلقت دفعةً واحدة على ما هي ؟ ام هي نتيجة تطورات حصلت لاشكال انقرضت قبل عصرنا فجهلناها ؟ يجيب الاستاذ عن هذه الاسئلة باننا لا نعرف شيئاً ! (ص ٣٧٨) على انه يقول: «قد يكون حصل فيها - وهو المرجح - تحوّل فجائي من شكل قديم الى شكل آخر (mutation).» على اننا لو فرضنا ان كل مظهر من الاشكال الجديدة كان نتيجة تحوّل فجائي في الاشكال القديمة، فان هذا لا يشترك في شيء مع نظرية التطور المدرسية المعروفة. بل يكون ان الطبيعة تستعين بالجوهر الحي الموجود سابقاً لتصنع اشكالاً جديدة. ولكن هذا التغير يكون من الكمال بحيث انه يعادل خلقاً حقيقياً» (ص ٣١٩). هذا «وان الصورة التي تطرق الذهن حالاً (وذلك كي يتمكن الانسان من تصور الارتقاء في ذوات الفقرات مثلاً) هي صورة شهب نارية (تسطع فجأة على شكل حزمة تتفرع عنها الاسهم المختلفة). ولكن

يجب ان نزيد ان تلك الحزمة النارية تتداخل اجزاؤها بعضها ببعض على طريقة تجعلها تسطع بترتيب في اوقات متتالية .» (ص ٣٤٤).

٤ تفنيد نظرية التطور

وبينا الاستاذ ڤيالتون يتبسط في آرائه ، يعرض لنظرية التطور فينتقدها ، في سيره ، على طريقة تجعل عرض النظرية وتفنيدها يتداخلان ويتتابعـان دون ترتيب في هذا المجلد الوافر الغموض والابهام . فهو تارةً ينـاظر الحيكيّين ، وطوراً ارباب الارتقاء الغاني القائلين بوحدة العرق الاصلي . حتى ان هـاتين المناظرتين تتداخلان ايضاً على طريقة مزعجـة ، وكان من حقّهما ان تنفصلان كل واحدة عن الاخرى.

ولم اكن لادخل في دقائق البراهين الفنيّة الخـاصة لانهـا اصعب من ان يحكم عليها من ليس من ارباب الاختصاص. ولكنّ البرهانين المهمّين اللذين يفند بهما الاستاذ ڤيالتون نظرية التطوّر هما ممـا يدركه جمهور المطلعين، وان سطحيا، على هذه الابحاث. فلو جارينا المؤلف على رأيه ، للزمنا القول ان نظرية التطوّر مدينة في ذيوعها وشهرتها الى سببين مهمّين: «الاول: كونها تحلّ بطريقة بسيطة تفهمها جميع العقول تلك المسألـة العويصة العظيمة ، الا وهي مسألـة تكوين العالم الحي واصل الانسان. . » والثاني : كون الناس خلطوا بين نظرية التطور ونظرية الارتقاء. . » (ص ٣٧٥) فهذا « خلط خفي تحت الالفـاظ » (ص ٣٦٠) فنتج عنه ان العلماء أسرعوا في استنتـاجاتهم ، فعمّموا ، دون انتباه ، نتائج مـا تحققوه في مجال بعض الانواع على مجال الارتقـاء العام . (ص ٣٧٤)

اما كون الخلط بين مدلول الالفاظ ، واستعمال القيـاسات السفسطائية ، والسذاجة في التعميم ، عملت على نشر نظرية التطوّر ، فهو مـا اعتقده دون صعوبة . واما كون هذه الامور هي الاسباب المهمة في انحياز بعض العلماء الى هذه النظرية ، فهو ما يمكننا ان نشكّ فيه. لان المشكلة اصعب مما يتصوّرها الاستاذ .

٥ النبحر

ان كنت قد توفقت في اختصار افكار الاستاذ ڤيالتون ، فللمطالع ان يحكم على قيمة « الوهم في نظرية التطور » .

هذا وبما ان الاستاذ حصر لفظة « تطور » — ولا نعلم باي حق ؟ — بمعنى الارتقاء الجبلي المرتب الدائم،اصبح من السهل عليه ان يخرق صدر هذا المسكين الاعزل بضربات حسامه البتار . ولا فخر ! فقد اختار ما يوافقه،وجعل «التطور» في مركز يهون عليه فيه ان يزيفه ويقضي عليه بل هو يُكثر الاهتمام بالقضاء على ذلك « التطور » الوهمي . . ومن يهتمّ اليوم ، خارجاً عن محيط الابتدائيين من اشباه العلماء ، بتأييد نظريات داروين وهيكل كما هي بعجرها وبجرها ؟

اما نظرية التطور الثاني (transformisme finaliste) — واني احتفظ بهذه اللفظة لانها ادقّ من لفظة الارتقاء (évolution) — فلا يتركها الاستاذ ڤيالتون فحسب ، بل هو يقدم لها وثائق قيمة مستندة الى خبرته وتضلّعه من هذا الفن . كما انه يأتي ببعض تحفّظات ايضاً منها نظرية تعدّد الاعراق (polygénisme) ونظرية التحول الفجائي (mutationisme) . . . وانني ابعد من ان اتدخل في هذه المناقشات الداخلية . على انني اعترف بان براهين المؤلف في ما خصّ النظرية الاولى ، اي تعدّد الاعراق لم تؤثر بي كثيراً، لانه يظهرها مظهر الحقائق البديهية التي لا تحتاج الى تأييد . . . وهل من الوضوح بالمكان الذي يدعيه المؤلف ان نظام الكائنات الحية كان منذ البدء وافر التمييز ، وان صفة الحسّ كانت معاصرة للحياة النباتية مثلاً ؟

اما ما يحاوله المؤلف من الشروح الرامية الى ما وراء الطبيعة فهو اضعف مما تقدّم واوهى . لان الموضوع يتطلب شيئاً فوق الاطلاع العلمي والنية الصالحة . . .

هذا،وفي نظري انه كي نتمكن من حلّ مشكلة التطور، وان حلًّا وقتياً، على طريقة مقبولة ، يلزمنا رجل « عالم » ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، اي رجل كاريسطو ، ولكن في عصر اوفر معارف وادقّ مشاكل، يجمع في شخصه ، الى درجة سامية ، علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة .

ابحاث تمهيدية لدرس فلاسفة العرب : ١

قابلية العرب للفلسفة

بقلم الخوري يوسف فارس ' من اساتذة كلية القديس يوسف

اذا كانت العلوم بالاجمال كسبية ، اي يحوز الانسان عليها بالدرس والحفظ والنظر ، وتتوافر لديه المعارف على قدر اجتهاده وكدّه ؛ فللاستعدادات الغريزية تأثير لا ينكر في اقتباسها ، وللرغبة الطبيعية دور لا يمتهن في احراز القسم العظيم منها . ولولا ذاك ، من يشرح لنا تفوّق هذا في الطب وتأخره في الهندسة ، ولع هذا بالشعر ، ورغبة ذاك في التاريخ ؟

وهذا الميل النفساني ، وهذه القابلية الفطرية ، تتعدّى الافراد الى الجماعات والى الشعوب ، فترى الفينيقيين ميّالين الى المتاجرة والصناعة اكثر منهم الى الفلسفة التي برّز فيها اليونان حتى عدوا معلمي العالم في هذا العلم . واشتهر الهنود والفرس بالعلوم الصوفية . ونبغ المصريون بالاشغال اليدوية حتى، ان ما يُكتشف منها اليوم في الحفريات التي تجري حول قبور الفراعنة يعجز عن مثلها امهر صناعي عصرنا .

فما علينا اذًا لو بحثنا في قابلية العرب للفلسفة ؟ ولا زلنا طارقين باباً لا يُقرع او سالكين طريقاً لا تُؤم ، ولقد طالما تكلّم الغربيون عن فلسفة العرب ، ودرس المستشرقون منهم فلاسفتنا . فنقول اذًا : هل هيّأ الله طباع العرب للعناية بالمعارف الفلسفية ، هل لهم في فطرتهم ما يعدّهم لهذه العلوم ، كما لهم مواهب غريزيّة لنظم الاشعار وتأليف الخطب ؟

سؤال يعزّ الجواب عنه بصراحة ، لانّ العقبات تحوم حول الموضوع ، والغوامض التاريخية تحول دون الوصول الى حقيقة امره . لذلك اختلفت فيه آراء النقدة والمؤرخين . فمنهم من يزعم مفاخرًا ان الشرق منبع الحكمة كما

هو مبعث النور ؛ وان الشعوب الشرقية ، وفي مقدمتهم العرب ، اول من حمل لواءها وازدان بجلاها. ويدعمون رأيهم بالشواهد التاريخية العريقة القدم والشريفة المرجع . يقرأ في الكتاب المقدس في سفر الملوك (٤: ٣٠) عن سليمان : « ففاقت حكمته جميع اهل الشرق » ، وبهم يعني العرب لانه ذكر بعض العرب المشهورين بذلك . وهي شهادة سامية في نظرهم لا تصادف امامها غير اليقين ، وعندهم ايضاً دلائل خصبة حسية تسمعها الاذن وتقف عليها العين ، وهي مجموع التصانيف العديدة المسبوكة في قالب الشعر ، او الموضوعة في درر النثر ، التي تجعل للعرب مقاماً رفيعاً وسمعة بعيدة بين الشعوب الذين اشتهروا باقوالهم الحكمية وامثالهم الادبية.

اما الفريق الثاني فيذهب في مغالاة معكوسة ، فلا ينكر على العرب الخبرة فيما يتعلق بالفلسفة فحسب ، بل ينفي عنهم المقدرة على التجريد الفكري. ويقولون ان عقول العرب تغلبت عليها المادة حتى انها لا تستطيع ان تفتكر بغير المحسوس. وابن العبري يصرح في تاريخه «مختصر الدول» ، ناقلاً كلام المؤرخ احمد بن صاعد الاندلسي فيقول: « اما علم العرب الذين كانوا يتفاخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الاشعار وتأليف الخطب اما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به ».

آراء متناقضة واحكام متنافية تجمل السؤال ، كما سبقنا في القول ، مبهماً ، والجواب عنه صعب المنال عسيراً.

بين هذه الآراء المختلفة يقف العقل طالباً اليقين مفتشاً عن الحقيقة . لهذا قبل حلّنا لمثل ذا المشكل الوعر يجب ان نحدّد ما نفهم بالفلسفة ، ورب تحديد يزيل كل ابهام ، ويوفّق بين آراء كان سبب تشعبها سوء تفاهم في الاساس.

* * *

اذا فهمنا الفلسفة حسب ما توحيها لنا لفظتها المركبة من كلمتين يونانيتين φιλος « محب » ، وσοφια « حكمة » اي « محب الحكمة » او الحكمة فقط ، لان لفظة φιλος زادها فيثاغوروس مدّعياً ان الحكمة لا تليق الّا بالذات الالهية. فيكون معنى «الفلسفة » الحكمة او الفطنة وسداد الرأي في تسيير الاعمال وسياق

الإفعال نحو غاية ما سامية رفيعة كالشرف والجود والاباء وعزة النفس . حسب هذا التحديد لا شك ان للعرب نصيباً وافرًا وارثاً كبيرًا من الفلسفة . فشجاعة عنتر ، وكرم حاتم ، ووفاء السموأل ، لا تزال مجدًا يعتز به ابناء قحطان وعدنان ، ومثلًا يروونه حتى يومنا بفخار العربي والمعجب به . طبقاً لهذا التحديد يُعذر غلوّ من يرى في العرب أصل الفلسفة . فقبل الاسلام وبعده قد لمعوا واشتهروا بهذا النوع من الحكمة.

وان عنينا بالفلسفة لا الحكمة او الفطنة فقط بل ما نسميه اليوم «الفلسفة العملية» التي تشتمل على المبادي العقلية كنتائج، من دون مقدمات فنية او علمية تأتي بها العقول السامية التي حصلت عليها بالاختبارات الشخصية والملاحظات الفردية، فتؤديها كقوانين وشرائع لسياسة الشعب وسير اعماله ، او كمصادر يرجع اليها الانسان في الاعمال البشرية ؛ فالعرب في الجاهلية والعرب بعد الاسلام كان لهم نصيب وافر في هذا النوع من العلوم ايضاً.

العرب في الجاهلية كانت تعدّ الحارث بن عباد، وزهير بن ابي سلمى، وطرفة، وعدي بن زيد ، وقسّ بن ساعدة ، وامية بن ابي الصلت من كبار حكمائها، فمن يقرأ منتوجات هؤلاء المفكرين يجد عندهم الشيء الكثير من الفلسفة العملية. تلك النصائح والحكم التي ، وان لم تكن تبلغ آخر درجات السموّ ، فهي نافعة لمن يريد ان يعيش بين بني جنسه دون ان يقع في حبالهم ويذهب ضحية اهوائهم ومطامعهم ، وهي رفيعة اي تدفع من يعمل بها الى ان يحيا شريفاً متزّهاً . فمن يقرأ كل هذه الاشعار الحكمية ، ويتطلع على الامثال العديدة التي نبغ في وضعها العرب واشتهروا بضربها حتى أصبحت فرعاً من الادب عندهم ، يُقرّ انها ثمرة عقول قادرة على التفكير وجديرة بان تقتبس الفكر « المجرّد » بواسطة التجربة والاختبار . وهذه مزيّة من مزايا الفيلسوف وشرط من شروط الفلسفة . فان كان العرب قد بلغوا هذا الرقي في تدريج العقل قبل الاسلام ، فانهم بعده على تكرار الايام والسنين ، ومع احتكاكهم بباقي الشعوب ، مهروا في هذا الصنف من الادب ، واضافوا الى اختباراتهم اختبارات جيرانهم من فرس وهنود وغيرهم. فكان لهم دروس لا يستهان بها في معرفة اطباع البشر ،

ونقد معايب النفس وذم اهوائها ، وحضّ الانسان على ان يتعرّى من عيوبه ويتزيّن بالخصال الحميدة. وللعربي اكثر من بقية الشعوب نظر ثاقب في اكتشاف الفضائل ، واظهار المعايب . لهذا نجد بين منتوجات العقل عند العرب شيئاً كثيراً فيما يتعلق بذم الجهل ومدح العلم، في الصديق الصدوق ، والعدو المداهن، في المرأة والتحذير من مكرها وخداعها، في الانسان وطبيعته الضعيفة المتمرّدة، مما يشير الى رغبة فطرية وتشوّق طبيعي الى مثل هذه الفلسفة التي بلا شك كان منبعها الشرق . فهكذا تظهر لنا مغالاة الذين يُنكرون على العرب كل جدارة طبيعية باشتغال العقل بالمجرّدات ، وكل مقدرة على الخروج من المادّة الى غير المحسوس . فالتاريخ يعلمنا انه منذ القديم كان لسكان الجزيرة اهتمام خاص في الحصول على الحكمة ، ويصوّر لنا ملكة التيمن آتية من أقاصي بلاد العرب لتسمع حكمة سليمان وتأخذ عنه أسرارها . فاذاً طبقاً للتحديد الذي أعطيناه للفلسفة ، يكون لابناء اسماعيل منها حظ ، ونستطيع ان نقول ان لهم قابلية وافرة لاقتباسها.

* * *

لكن للفلسفة معنى آخر وتحديد اتفق عليه اغلب العلماء. فيعرّفونها بانها « اسلوب علمي يردّ الحوادث والكائنات الى مباديها ومصادرها ، ثمّ ينقب في اسباب هذه المبادي والمصادر حتى أقصاها .» فان طبقنا هذا التعريف على فلسفة العرب لزمنا الاقرار بانهم مقصرون عن باقي الشعوب في هذه الحلبة وان نصيبهم منها لقليل جداً .

لا نشاهد للفلسفة ، كما حدّدناها ، من أثر في ما وصل الينا من العصور الجاهلية ، ولا يسعنا ان نقول ان آثارها قد طمست ومتروكاتها قد لعبت بها يد الضياع ، لانه لا شيء يدلنا على امكان وجودها.

نعم بعد الاسلام نشاهد مثل هذه الفلسفة بين العرب ، ولكن من يقف على تاريخها ويطلع على نشأتها في الشرق ، ويتبع سيرها الى الغرب تتضح له اصابة هذه النظرية . ففي التاريخ نعاين العرب يستقبلون هذا العلم بازدراء وغضب ، وتدلّ الحروب التي عانتها الفلسفة وقاساها الفلاسفة من سائر طبقات

الشيب أنها لم تلاق حظوة في عين العربي. ثم اننا نرى ان من برعوا في الفلسفة واعطوها رونقها لم يكونوا من عنصر عربي . فحجة الإسلام الامام الغزالي ، والطبيب الفيلسوف ابن سينا ، والفارابي ، وفيلسوف الغرب ابن رشد ، وابن طفيل ، لم يجر في عروقهم دم عربي ولم يولدوا تحت سماء بلاد العرب. فكانوا فارسيي النشأة وكانوا اندلسيي المولد . فلاسفة العرب ليسوا من العرب ، بل هم اعاجم ! وان وجد بينهم افراد من العرب احرزوا لهم ذكراً في ذلك كالكندي ، فانه من باب الشذوذ. ومن تآليف هذا الفيلسوف العربي لم يبق الدهر الّا القليل لنحكم على مقدرته ، وقد كانت شهرته خاصة في النقل.

ثم اذا افترضنا ان العرب نبغوا في هذه العلوم ، وكان بينهم ومنهم فلاسفة عظام ، فهذه الفلسفة التي ندّعيها عربية لا تختص بالعرب ؛ ليسوا هم الذين ابرزوها للوجود، بل جلّ ما صنعوا انهم اقتبسوها والاغلب نقلوها عن اربابها اي عن الاغريق. وكان جلّ فخرهم بشروح وتعاليق عنوا في التوفيق بينها وبين العقائد الاسلامية فالابتكارات العربية المحضة قليلة جداً . ووراء ابن سينا والفارابي وابن رشد نجد افلاطون وارسطو وجالينوس وفرفوريوس وتعاليم المدرسة الاسكندرية . وايضاً في نقل هذه الفلسفة لم يكن الفضل للعرب بل للسوريين والسريان، لاولئك المترجمين الاطباء. آل حنين ، وآل بختيشوع ، الذين كانوا حملة تعاليم اليونان وناشريها في العالم الاسلامي .

وان تساءلنا الآن لِمَ لم تلاق الفلسفة حظوةً في عين العربي ؟ لماذا لم ينبغ بها ولم يعطها شخصيّته كما نبغ في غيرها من الآداب ؟ لماذا لا نقول: « فلسفة عربية » كما نقول مفاخرين: « شعر عربي » . لماذا اخيراً لم يكن لسكان الجزيرة قابلية لاقتباس الفلسفة ، وما الذي أثّر عليهم حتى ابعدها عنهم مراحل واقصاهم عنها فلوات ؟

من فكّر ملياً ذهب يبحث عن السبب ، لا في الدين كما يخال البعض ، لاننا قبل الاسلام لم نشاهد لها من اثر بين العرب ؛ بل في غير ذلك من وضعية البلاد العربية.

السبب، على ما اظن، في البيئة ، فهي لا تشرح فقط الصفات الخارجية التي

يمتاز بها شعب عن غيره ، بل لها تأثير لا يُنكر في الاطباع والاخلاق النفسية . وقد جاهر بهذا الاعتبار علماء كثيرون كابن خلدون ومونتسكيو وغيرهما من الذين وقفوا على آثار البيئة وفعلها في الانسان فقالوا في رأيهم قائلين : « ان الانسان صنيع بيئته فقط » .

وهكذا لو استقصينا عن سبب ولوع الايطالي بالموسيقى وشغفه بالالحان ، لشاهدنا ان سماء ايطالية الصافية الاديم ونجومها البرّاقة الشديدة اللمعان ، واعتدال مناخها مع عذوبة مائها ، وبهاء المناظر الطبيعية فيها ، كل هذا كان عاملاً قوياً لاحداثه عند سكانها اميالاً غريزية لهذا الفن الذي يطلب من صاحبه رقة وعذوبة في الاطباع ، فكان الايطالي صورة بلاده الجميلة تدفعه عذوبتها الى الاحساس الرقيق ، والشعور اللطيف الذي يتجلى عنده بلغته الموسيقية وولعه بالغناء .

وفي البيئة ايضاً نجد شرح نبوغ اليونان في العلوم والفنون اجمالاً ، وتفوقهم في الفلسفة خاصةً . اقليم بلاد الاغريق المعتدل حيث يتوازن الحرّ والبرد ، بمناخ البحر المتوسط جعل اليوناني متساوي القوى الغريزية ، وقابلاً لاقتباس جميع المعارف . اما سبب ميله الخاص الى الفلسفة وحبه للاطلاع على الاشياء المجهولة ومعرفة اسبابها فعائد ايضاً الى امر طبيعي . فتح الاغريقي عينه على ما حواليه فشاهد في حضن الطبيعة اموراً مدهشة : رأى العناصر تأتي في بلاده بالمعجزات ، جزر تعوم يوماً على سطح اليمّ ، ويوماً آخر لا يشاهد لها من اثر ؛ جبال تقذف من فيها النار والنفط والكبريت ؛ بروق ورعود ؛ بحر هائج وموج متلاطم . فدفعته محبته الغريزية للعلوم الى حلّ هذه المشاكل وشرح هذه النوامض ، والبحث عن سببها الاول . فكانت الفلسفة ، ذلك النور الذي اضاء ديجور العالم القديم والقرون الوسطى ، ولم تزل حتى اليوم نقتبس من شعاعه .

ومن وقف على موقع الجزيرة العربية ودرس مناخها الطبيعي ، فهم تأثيرها على الاهلين ، على أطباعهم ومزاياهم النفسية .

شمس مهيبة ترسل على الارض اشعتها كانها من نار فتصهر الاجسام وتجفف العقول . سهول فسيحة من الرمل المحرق لا يعرف الطرف لها من حدّ ، بل اذا تأمل فيها الناظر يخالها تحت أنوار الشمس تارة جنائن غناء تسقيها أنهار من لجين

وينابيع من تبر ، وطوداً يظنّ نقودها وتلالها جبالاً من الـذهب وهضاباً من الجواهر والالماس . واذ يقترب تختفي الرؤيا وتتلاشى المناظر ، فيفهم انه كان العوبة السراب.

على هذه الارض الجافة قلّما يقع المطر ، ولكن اذا أدمعت السماء وبكت السحب ، جرت الانهار ، وعجّت السواقي ، وكان سيل عرم. ولا يمضي القليل حتى تكتسي الارض التي سقاها المطر ببساط اخضر من العشب والزهر وتصبح واحة غضّة تغرّد فيها البلابل ، ويسرع في مروجها ثغاء قطعان الغنم.

هذا الانقلاب الفجائي ، عدم تعادل العناصر في البيئة ، ولّد عدم توازن في غرائز الاهلين . فنشأ العربي ذا مخيّلة واسعة ، كيف لا وبلاده أرض الخيال ومرتع التصوّرات ، ونشأ سريع التأثر له احساس غريب فكان عاطفياً حتى منتهى العاطفة وكان وصّافاً خيالياً . وتأصّلت فيه هاتان القوتان حتى تمرّدتا على العقل ، فلم يستطع ان يستلم زمامهما فكان عدم التوازن العقلي ، حالة لا تصلح للتعاليم الفلسفية. لانه ، وان كانت الفلسفة تتطلّب مخيلة واسعة للنظر الى البعيد واستنباط الافتراضات ، فهي تحتاج خاصة الى ارادة قوية تدفع بصاحبها الى التمحيص والتدقيق ، الى الشغل والتفكير لحلّ الامور الدقيقة ، ولمعرفة اسباب الامور الغامضة. الفيلسوف هو رجل عقل وكدّ اكثر منه رجل احساس وشعور. وهذه صفة لم تتوفّر للعربي المقيم في الفيافي الشاسعة بلاد الخيال والعائش في البوادي القاحلة ، فشغله السعي وراء القوت عن الدرس والتفكير. فكان شاعراً ، وكان خطيباً ، لكنه لم يكن فيلسوفاً.



مثوبات العام

المطران جرمانوس فرحات

١٦٧٠ - ١٧٣٢

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

في العاشر من تموز الفائت ، كنت وأحد كهنتنا العلماء الاجلّاء ، نذكر حبرًا فاضلًا وعالمًا عاملًا قضى في مثل ذاك النهار ، قبل تسع وتسعين ومائة سنة ، تاركاً للآداب العربية آثارًا قلما تركها لها احد اربابها منذ عصر الانحطاط ، ومخلّفاً لنصارى لبنان مثالًا حيًا اشبه بمثال نسّاكه القدماء ساكني كهوف الوادي المقدّس ، ومعطّري ارجاء الارز الخالد. ذكرنا السيد جرمانوس فرحات ، مطران حلب الماروني ، صاحب الفضل العميم على الحياة الرهبانية في لبنان ، وعلى النهضة الادبية الحديثة في انحاء الشرق . ذكرنا اللغوي الماهر ، والنحوي الدقيق ، والشاعر المخلص ، والمهذّب اليقظ المتفاني في تسهيل اساليب الدرس والتحصيل ؛ كما ذكرنا الراهب المتقشّف ، والكاهن الغيور ، والاسقف الصالح الساهر على نفوس رعاياه . ذكرنا كل ذلك وتوقعنا الاحتفال بمرور مائتي سنة على وفاته في ١٠ تموز ١٩٣٢ .

ثم آلمنا ، في هذا الموضوع ، ما نرى من الفرق بيننا وبين الاجانب. وذلك انا لا نكاد نفتح جريدة اجنبية الّا ونرى الاشارات متتابعة الى التذكارات المختلفة . فهنا يحتفلون بمرور خمسين سنة على ولادة العالم الفلاني ، وهناك يكرّمون ذكرى الكاتب الآخر لمرور مائة سنة على نشر أثره الفلاني ، وهنالك يقيمون تمثالًا بنسبة انقضاء الف سنة على وفاة الشاعر الملهم فلان. . . وهناك ايضاً المخترع ، والفيلسوف ، والمفكر ، والقائد ، والمؤسّس ، والطيّار . . . حتى اذا اعوزتهم الشخصيات وضاقت بهم الموضوعات الحسية المعروفة ، عمدوا الى النكرات يقيمون منها امثلةً ورموزاً جديرة بجالي تعظيمهم واعتبارهم ،

فكرّموا الجندي المجهول ، واحتفلوا بذكرى المعاهدات ، واقاموا للحرية تماثيل . . . اما نحن فتمرّ السنون والقرون على ذكريات عظمائنا ، ولا نكاد نفكّر فيهم . واذا فكرنا فبقصيدة رنّانة ننظم فيها صفات العزّة الالهية ونقلّد بها جيد عظيمنا دون تحفّظ ولا احتياط ، او بخطبة طنّانة نرصف فيها القاب التعظيم والتبجيل ونطبّقها على ممدوحنا دون تدقيق ولا تمحيص ، حتى نفقد قياس الشخصيات الحقيقي ، ونشرك اعلامنا شركة التبن في نعوت وصفات نكيلها جزافاً لاول مجتدٍ ، غيرَ مستثنين من ذلك احداً . . .

هذا الاهمال في تكريم عظمائنا ، بل هذا النوع من الاحتفال بتكريمهم ، هو ما آلمنا ؛ فاردنا ان يكون احتفالٌ بذكرى المطران جرمانوس فرحات ، وان يكون على طريقة تخرج في مظهرها ورمزها وفائدتها عمّا ألفناه من القاء الخطب وانشاد القصائد . واقترنا نفكر كلٌّ من جهته في اعداد مشروع لهذا الاحتفال .

ثم اتت العطلة المدرسية . وألمّ بجدّي الفاضل داءٌ شديد مضنك هدّ تلك القوى الجبّارة ، واطفأ ذاك السراج الساطع . ولم تتخلّص النفس من تباريحه الّا منذ ايام ، اذ ارادها الله لواجب اسمى فاستدعاها الى عالم اكمل . فاصبحت ذكرى المطران فرحات اعزّ عليّ ، وواجب الاحتفال بها اعلق بقلبي ، وقد اقترنت بذكرى ذاك الصديق العطوف بل الاب الجليل [1] .

وكان ان الشهباء تحفّزت للاهتمام بالاحتفال ، فكان من نصيبها ان تكون السابقة الى هذا الواجب بل الى هذا الشرف ، ولا غرو فقد كان المطران فرحات ابنها البارّ وراعيها الصالح

ولنا ملء الامل ان ابناء اللغة العربية سواء أكانوا في الوطن او في المهاجر ، لا يتأخرون عن مشاركة ابناء حلب في واجبهم . فيؤلفون اللجان الفرعية ، ويعملون معاً على اقامة التمثال واحياء التذكار ؛ وعلى كل ناطق بالضاد فرض تكريم من رفع منار الضاد عالياً في عصر خيّم فيه الخمول على اكثر مناطقها .

* * *

---

[1] هو فقيد العلم والوطنية والتقوى المرحوم الخوري بطرس غالب ، مَن نرى كلمةً عنه في غير مكان من هذا العدد .

يبدَ إن لنا كلمة في نوع الاحتفال نبديها بكل اخلاص ، آملين ان يحملها المطالعون ايضاً على محمل الاخلاص نفسه ، رامين الى فكرة نراهـا ضرورية ونؤمل ان يطبّقها المحتفلون في سنّ مناهجهم ، فيضعون مثالًا سامياً للاحتفالات القادمة — وما سيكون اكثرها في المستقبل ان شاء الله ! — يصرفهـا عن مباراة الخطباء ومنافسة الشعراء الى درس الحياة درساً دقيقاً علمياً ، واحيـاء ذكرى المحتفل به على طريقة تعرّفه الى المحتفلين. فيرونه امامهم واضح المظهر ، جليَّ الشخصية ، بشرياً يمكن السير على آثاره ، ومتفوقاً يجب الاقتداء به . اذ ما الفائدة من وضع كل من اردنا تكريمه فوق البشر لا تصل اليه ابصارنا الّا كليلة ، ولا تطمح الى الاقتداء به نفوسنا الّا عاجزة.

كان المطران جرمانوس فرحات رجلَ دين ، وكان رجلَ علم . فوجب ان يكون درس شخصيته على قسمين اجماليين يتفرّع عن كل منهما مظاهر مختلفة لتلك الشخصية البارزة . ففي رجل الدين نرى الكاهن ، والراهب ، والاسقف . وفي رجل العلم نعرف اللغوي ، والنحوي ، والشاعر . تشمل كل ذلك صفة المؤلف البصير ، والمهذّب اليقظ ، والمصلح الخبير .

اما الكاهن فله مواعظ وارشادات واعمال تمهيدية لتعليم الرعية وترويض النفوس[1] ؛ يحسن باحد كهنتنا الافاضل ان يدرسها جميعاً فيستخرج منها صورة كاملة للمحتفل به ، وبالتالي للكاهن الماروني في ذاك العصر .

واما الراهب فترينه سيرة نسكية قشفة ، وحيـاة مطمئنة الى السكون مقضيَّة بين الابتهالات والتأليف ، بين فرائض العبادة وواجبات العلم . حياة ساكنة ولكنها مثمرة . ويكفي ان يدرس احد رهباننا العلماء كتاب « المحاورة الرهبانية » او « تعليم الراهب » ، و« مجموع قوانين الرهبانية » حتى يستنتج ما كان عليه ذاك الراهب العامل من بعد النظر وعمق الفضيلة .

واما الاسقف فله اصلاحات وتجديدات زوحية ومادية لا تنساها مطرانيـة حلب ، بل لا ينساها الاساقفة اجمعين . وكم يكون مفيداً لو تفضّل احد سادتنا الاجلّاء . فاظهر ما تدل عليه من اهتمام بامور الرعية ، ومن سهر على تهذيب كهنتها ،

١) من ذلك « كتاب الرياضة » ، و« مختصر سُلّم الفضائل » وغيرهما .

ومن حسن ادارة وكمال ضبط،تلك الارشادات والنصائح البارزة بكل وضوح وجلاء في « التحفة السرّية لافادة المعرّف والمعترف » ، و«فصل الخطاب في صناعة الوعظ » ، و« رسالة تعليم الصلاة العقلية » و«رسوم الكمال » و«رسالة الفرائض والوصايا » .

هذه ثلاثة مظاهر تدور حولها اعمال المحتفل به ومآتيه في محيط الدين ، دالّة على الصفات المختلفة التي تتوافق جميعاً وتتجه كلها الى تمثيل رجل الدين في المطران جرمانوس فرحات.

ويقابل هذه المظاهر الثلاثة ثلاثة مظاهر اخرى تمثّل لنا رجل العلم ويكون رسمها على نحو ما قدّمناه :

فيُبحث اولاً في صفة اللغوي وما امتاز به من طريقة في قاموسه المشهور ، وفي سائر تآليفه اللغوية « كالمثلّثات الدرية » وما اليها . ولا يكفي في هذا الموضوع ان نقول : ألّف ، وجمع ، وترك . بل يجب ان ندرس كيف ألّف ، وعلى اي طريقة جمع ، وما هي قيمة ما ترك . هل ابتكر شيئاً في آثاره اللغوية ، وهل سهّل درس اللغة ، ام قلّد مقلّدي المقلّدين منذ عصر الانحطاط الى يومه ذاك ؟

على ان المجال اوسع في الكلام على المطران جرمانوس نحوياً ، و«بحث المطالب» لا يزال متتابع الطبعات ، متداولاً في الكثير من المدارس ، يعتنق في درسه الطلّاب ويستفيد منه المؤلفون . واسلوب الكتاب ، في عصره ، مثال حيّ لما يجب على المؤلفين اتباعه في تسهيل التدريس وتقريب القواعد من فهم الدارسين ، مع صرفها عن الاختصار المخلّ والميل بها عن القوالب الجافة التي تميّز الكثير من الكتب المدرسية . هذا ما ابتدعه المطران من اسلوب في تدريس الصرف والنحو، وان هذين العلمين ليشكران له طويلاً هذه البدعة النافعة . يلحق بذلك ما ألفه في العروض والقوافي والمعاني والبيان « كرسالة الفوائد » و« التذكرة » و« الفصل المعقود » و«بلوغ الارب » وغير ذلك. مما يجب تحليله ودرسه أثراً اثراً ، فالدلالة على حظّه من التجديد والابتكار.

واما الشاعر « فالديوان » كفيل باظهار صفاته ، سواء أكان من حيث

الموضوعات وما فيها من تجدّد او تقليد وتنوّع او وحدة سياق، او من حيث الاسلوب وما امتاز به من متانة او ضعف، من ابتكار او ابتذال. ثم يجرّ ذلك الى درس القوى الشعرية من شعور ومخيّلة وعقل، وطريقة توازنها وتآلفها في المطران الشاعر.

* * *

هذا وليس درس هذه الآثار بالمستحيل، اذ ان كلها معروف، واكثرها معاد طبعه مرّات. فاذا تفرّغ لها عدد من الادباء، كل في الموضوع الذي يدخل في اختصاصه، كان لنا مجموعة نفيسة من الدروس النقديّة الممتازة. نخللها بذكر آثار المؤلف الثنوية من معرّبات ومختصرات ومصحّحات، نُلحق كلًّا منها بالفرع الذي تتصل به. ونتقدّم على كل ذلك مقدّمة واسعة في حياة المحتفل بذكراه وصفاته الرجولية. فيكون لنا مجلّد كثير المادة، جامع الابحاث، مصيب الاحكام.

وكي تتمّ الفائدة، وتكمل لنا، على افضل ما يمكن، شخصية المطران جرمانوس فرحات؛ يجب ان نردف مجلّد الابحاث هذا بمجلد آخر نضمّنه منتخباتٍ نختارها من آثار المطران المختلفة في جميع الموضوعات التي ساعدتنا على درس مظاهر شخصيته. فتكون رسوماً مختلفة لذلك الرجل الكبير، ومستندات دقيقة قيّمة لما تقدّم من الاحكام الادبية عليه.

فيكون عملنا، والحالة هذه، مبتكرًا في نوعه، مفيدًا في اجمانه، لائقاً بتكريم من وُضع لاجله. وهو، اذا ظهر بالطبع، كان حدثاً ادبياً مهماً، ومثالًا ناطقاً مؤثرًا في نهج الاحتفالات التكريمية في بلادنا. فضلًا عن انه يكون خاصاً بالمطران جرمانوس فرحات، لا فضفاضاً مضحكاً ولا مقصّرًا شائناً. فيمثّله في اذهاننا ويحيي ذكراه في قلوبنا اكثر مما لا يُقاس من عشرات الخطب الطنّانة المبتذلة، ومئات القصائد الرنّانة الجوفاء.

قبر الامير بشير

نبذة للامير موريس شهاب

امين دار الآثار اللبنانية

من مدة الى اخرى تثير الجرائد اللبنانية الى ذاك الامير الكبير الثاوي في البلاد الغربية ، فتذكر بالخير عهده السعيد ، وتلهج بنقل رفاته ، معدّدةً الاقتراحات على حكومة لبنان ، منوّعة برامج الاستقبال وطرق التكريم والتبجيل . ثم تسكت كأن الامر خرج عن موضوعاتها ، الى ان تثيره فرصة ثانية فتعود اليه كمن ذي قبل . وهكذا دواليك ! حتى بلغت الحملات الصحفية ، في هذا الموضوع ، لا اقل من عشر منذ تخلص لبنان من نير الاتراك فاخذ يفتكر بمفاخره الوطنية . واي مفخرة اجدر بالحرص واحقّ بالتقدير من رفات ذاك اللبناني العظيم !

بيدَ انّ جرائدنا الغرّاء ، في حملاتها تلك ، لم تكد تُشير الى مقرّ الرفات الّا عن طريق العرض والتلميح . فرأيت ، سدًّا لهذه الثلمة ، وخدمةً لمن سيهتم بهذا الواجب الوطني — ويجب على كل لبناني ان يهتم به ! — ان اذكر شيئاً عن ذاك القبر وما يثيره من التذكارات ، وقد زرته لبضع سنوات خلت :

هناك في القسطنطينية ، على ضفاف البوسفور الهادئ ، في حي غلطه ، رقد رقاده الاخير امير كبير كان لحكمه شأن عظيم في تاريخ الشرق الادنى .

هناك ، بعد ان طال حكمه وكاد يدرك الوطر ويحقق الآمال نفي زمناً عاش فيه حزيناً ، ولكن مكرماً محترماً .

عاش في المنفى ، بعد ان قضى على عرشه ، املهُ انقلاب وزارة . اذ لو طالت رئاسة تيير للوزارة الفرنسوية ، لربما كان تاريخ لبنان كتب بغير تلك

الاسطر الحزينة ، ولما تفرّق شمله الى إمارتين بعد ان كادت تتأمل فيه زوح الوحدة ، وقد تمشى اليها طول قرنين كاملين . سقطت وزارة تيرس فسقط الحزب المعاضد لمحمد علي. وترأس الوزارة گيزو ؛ فكانت خطته ، مع مليكه لويس فيليب ، نزع اسباب الشقاق بين الفرنساويين والانكليز . كانت هذه الخطة قاضية على نصر المصريين ، وعلى حليفهم الامير بشير ؛ فلم يبقَ له الّا الاستسلام الى اميرال الانكليز . وقد فعل ، فكان نصيبه مالطه ثم بروسه ، ثم قاضي كوي.

قضى في المنفى نحو العشر سنوات ، وهو كئيب حزين ، يرى لبنان ينقسم الى امارات واحزاب ، ويرى ابناء عائلته ينقسمون بعضهم على البعض فيفضل افرادهم النفع على الواجب. صحبت عليه خيبة الامال في سياسته ، وفي بعض اولاده ، فاشتهى الموت ، ومات كئيباً في آخر سنة ١٨٥٠.

تنفس الترك الصعداء اذ مات عدوّهم السجين ، فلا بأس بهم الآن ان يظهروا نحو وفاته بعض ما تستحق من الاكرام. واذاً فقد مشى في دفنه رجالات القسطنطينية على اختلاف نزعاتهم السياسية . وكان جمهور المشيعين مؤلفاً من الوزراء والسفراء والباشاوات ومن اليهم من ارباب الحكم والادارة.

والآن ، في حيّ غلطه ، بين طرق ضاقت وكثرت منعطفاتها ، وبين قوم من رعاع الاروام واليهود ، في ذاك الحي القذر تقوم بطركخانة الارمن الكاثوليك.

وفي هذه البطركخانة المهجورة كنيسة هي اقدم كنائس الطائفة ، مربعة الشكل ، ضيّقة الاطراف ، انتثرت على جدرانها بلاطات من الرخام كتب عليها بالارمنية اسماء من رقد من البطاركة في هذه اللحود. وعلى شمال الداخل ، قرب هيكل صغير ، بلاطة تمتاز عن الأخر بدهان ازرق غشاها وباحرفها المذهبة ، وقد نقشت عليها كتابة ، تحت شمس واكليلين من الزهور ، بثلاث لغات ، اولها شعر عربي وهو:



البلاطة الدالة على ضريح الامير بشير

قد كان صاحبُ هذا القبر ذا شرَفٍ مدى الزمانِ رفيعٍ غير منخفضِ
لاقى المنيةَ في التسعين متشحاً برد الفضائل في برٍّ وفي حمدِ(١)
اولت ولايته لبنانَ طيب ثنا وشادَ بالعدلِ فيه كلَّ منتقضِ
فهو الاميرُ الشهابيُّ البشيرُ ومَنْ غيرَ العلى لم يكنْ يرتادُ من غَرَضِ
قضى فاظلمتِ العَليا مؤرِّخةً أمّا البشيرُ شهابٌ في الجنان يضي

١٨٥٠

ويلي هذه الابيات سبعة اسطر بالارمنية ، وبعدها كتابة لاتينية معناها :

«العالي الشرف الامير بشير الشهابي حكم بالعدل لبنان مدة ست وخمسين سنة محبوباً من الله والناس ، وهو يرقد في ذا المكان وقد خُطفت روحه الى السماء في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٠».

هكذا يرقد الامير الكبير في لحد بسيط غريب بين غرباء !

افليس من العدل ان تعاد عظامه الى قصره في بيت الدين ، فتستريح بسلام بين رجاله المحبوبين ، شجعان دير القمر !

---

١) كذا نقلنا هذا البيت المضطرب القافية ، وقد رأيناه في بعض المصادر على الصورة التالية :

لاقى المنيّة في التسعين متشحاً برَّ الفضائل من حمدٍ ومن عرضِ

من بين سجوف النافذة

مشاهدات وتأملات

للقس اسطفان فرحات

ما كادت الديكة ترسل صياحها عند تباشير الضحى ، حتى رجّعت انحاء الكون صداه ، فامتلأت آذان الطبيعة الهادئة ، فاستيقظت واستيقظ فيها كلّ حيّ من هجعته . وما هي إلّا هنيهة يتمكن الرائي ان يتبين فيها الخيطَ الابيض من الخيط الاسود حتى تأهب كل واحد الى عمله . فعندئذٍ جلست الى نافذتي التي تطلّ على الطريق النافذ في هذه الحاضرة الحافلة بجميع طبقات الناس على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ، بحيث أرى الكل ولا يراني احد ؛ وقصدي بذلك ان استطلع احوال كل واحد يمر امامي ليمكنني الدخول الى حنايا نفسه ، عن طريق اسارير وجهه . فاجهدت مخيّلتي بان تطبع فيها صورة كل من اتبيّنه ، حتى اذا ما دقّت عليّ معرفته الشخصية ، لا يصعب عليّ ان اصوّره تصويرًا ادبيًا يقرّبه من عقلي ، فيستطيع ان يحكم عليه الحكم الصائب .

واني لمحدّق نظري من بين سجوف تلك النافذة ، نحو الساعة الخامسة صباحًا ، اذ مرّ احدهم يحمل معوله على كتفه ، ويتأبط صرةً اظنها وعاء طعام فطوره ، وقد ارتدى ثوبًا خلقًا ، ولفّ رأسه بكوفية صفراويّة اللون ، تتدلى ذوائبها على كتفيه ، واحتذى حذاءً شدّه الى نصف الساق بسير قدّه من جلد ، وكان يتمتم بعض كلمات ، استطعت ان افهم كنهها من توقيع شفتيه ايّاها ، كما يستطيع الناظر الى توقيعات الموسيقي على قيثارته الجميلة ، ان يفهم بعض الالحان فيلذّه نغمها . واظن ان تلك الكلمات كانت صلاة الصبح ، كانه قد اعتاد تلاوتها في مثل هــذا الوقت ، شكرًا لله تعالى ، على حفظه اياه في الوجود ، وعلى توفير اسباب العيش له ولعياله . وما زلت اماشيه بنظري حتى

حجبته عني محاني الطريق ، فعرفت انه « العامل » يبكر ليحصّل خبزه بعرق جبينه .

* * *

وما هي الا بضع دقائق ، حتى مرّ آخر يسوق قطيعاً من الماشية ، فلم ألهِ نظري بمرأى ماشيته ، قفزاتها ومداعبتها الواحدة الاخرى ، ولم اشغل اذني بسماع ثُغائها ، لئلا تفوتني معرفة صاحبها الذي كان جالساً فوق ظهر حماره.

قلت جالساً ، لانه كان يمتطي ظهر ذلك الحمار ، امتطاء هو اقرب الى الجلوس منه الى الركوب ، وهذا النوع من الركوب تدعوه العامة « جنابي » .

وكان يلطم ذلك الحمار برجليه مرةً باليمنى ، ومرةً باليسرى ، لطماً متتابعاً ، كانه اراد تليين طباع حماره . وقد نشر على كتفيه فروًا كبيرًا لا شك انه من صوف تلك الماشية ، ولفّ رأسه بكوفية سوداء ، واشتغل يديه باصلاح شبابته الجميلة ، وتأبط هراوةً كان يضم يده عليها بقليل من العناء ، مخافة ان تسقط على الارض ، فيزعجه اخذها ، وتفقد عليه حركته هذه ، التي كانت تخال اليَّ انها دائمة ، بالنظر اليه . وكان ينتهر ما تعرّج منْ الماشية عن سواء السبيل بجدة ، وما يكاد ينتهي من انتهاره هذا ، حتى يعوي كلبه السائر الى جنبه ، لاعواء مروّع ، بل كأنه يردد انتهار صاحبه ، على الشاردة من القطيع ، لتعود فتنتظم مع رفيقاتها في الطريق . وما كاد يصل الى المنحنى الذي يؤدي الى مصعد الجبل ، حتى عزف على شبابته ، فاسمع انغاماً لذيذة ، مازجت تغاريد العصافير اللطيفة ، وحملتها انفاس الصباح البليلة ، الى الفضاء اللانهائي ، كأنها تسبحة حمد وشكر للخالق الاسمى ، تخترق السحاب اليه . فعرفت انه « الراعي » ذهب يراعي الشمس ليروح بماشيته ، ولا همّ له في الحياة سوى العزف على الشبابة ، التي هي كل امانيه ، وسبب سروره في وحدته ، بين اسراب ماشيته في ذلك البر القفر .

* * *

وانها لفترة لم تكد تمرّ على هذا المشهد ، اذ عنّ لي رجل آخر يحمل بيده اليمنى عصاً يتوكأ عليها ، لا توكّؤ عاجز او مريض ، ولكنها عادة

الشباب ، وتزعتهم العصرية . وبيسراه تعبث باحد ازرار سترته ، وعلى رأسه طربوش يحجب جبهته عن العيون الا اقلها ، فاستطعت ان افهم من اسارير هذه الاقلية بعض الشيء الذي كان يفكر به في تلك الساعة ، وانه لما يدعوه الى قلق الفكر . وكان صامتاً لا ينبس ببنت شفة ، وهو يسير العُجيلى ، كمن يعجّل لاخذ شيء فاته من قبل . حتى انتهى الى مدخل الشارع الكبير ، وتغلغل بين محانيه ، فلم يعد لطرفي امكان ان يتابعه ، فعرفت انه «التاجر» . والتاجر يفرحه الربح وتفجعه الخسارة . واذن فان قلقه الذي كان يبدو لي على اسارير وجهه ، لم يكن الا نتيجة هبوط في اسعار بعض الاصناف التي كان يحتكر اكثرها في مخزنه ، وقد اسرع ليعرضها للبيع قبل انتشار هذا الخبر ، في انحاء المدينة ، فيخسر بها مبلغاً وافراً . وكأني به لا يعرف سوى الدرهم ، ولا يعبد سوى الدينار .

* * *

واني لكذلك ، واذا برجل آخر ، عليه مسحة من الاهابة والاعظام ، يرتدي ثوباً قشيباً ناعماً قد وشّته يد الحائك بغاية من الحسن ، وفصّلته يد الخياط الماهر ، فجاء مكتلاً زهو ذلك الرجل وكبره ، وكان يحمل عصاً ذات قبضة ذهبية يتوكأ عليها توكؤ ذي شمم واباء ، وقد ألبس اصبعه خاتماً ذهبياً مرصعاً بفصّ لم اتبين نوعه لاعرفه أياقوتاً كان ام الماساً . وكانت يسراه تعبث بمجات الطقطق ، كانما هو يعدّ عليها شيئاً مكنوناً في ضميره ؛ وما كان صامتاً فحسب بل كان يضمّ شفتيه ضماً محكماً ، كأنه يحرص على شيء في فيه ، واسارير وجهه تبدي من علامات الاضطراب والخوف الداخلي ما يخال الى الناظر انها نتيجة اشياء مروّعة وقد استطعت ان امثله هذا التمثيل ، لانه كان يسير امام نافذتي ببطء هو عنوان الكبر والخيلاء ، وما زال حتى انتهى الى مدخل دار الحكومة حيث كان ينتظره نفرٌ من الناس ، فحيّوه تحية الاعظام ، ودخل . فعرفت انه «النائب» ، والنائب ، حسب النظام الديمقراطي ، هو الذي يشترك في ادارة شؤون الامة السياسية والاقتصادية والمالية . فلا بدع ، والحالة هذه ان تكون عصاه ذهبية القبضة ، وخاتمه مرصعاً بالياقوت او الالماس . واذن فان ما

كانت تبديه اسارير وجهه ، من علامات القلق والاضطراب ، هو نتيجة تفكير بخلق حزب سياسي او باختراع مشكل انتخابي جديد ...

* * *

وما ان مرت على هذا المشهد فترة قصيرة ، حتى مرَّ آخر ، يحمل حقيبة متضخمة بما أُودع فيها من اوراق خصوصية ، ومجلات ، وجرائد يومية واسبوعية ؛ وتأبط كتاباً كبيراً . فمولت ، والحالة هذه ، الّا اشغل فكري بمظهره الخارجي الذي كان لا بأس فيه ، لئلا تفوتني معرفته الداخلية ، مما كان يبديه من الاهتمام بتفحص تلك الاوراق ، وبمطالعة الاعلانات ، في تلك الجرائد .. فما ان يتصفح احداها حتى يجيل طرفه فيها من اعلاها الى اسفلها ، مرةً واثنتين ، كانه يفتش عن شيء اضاعه بين سطورها ، ثم يعمد الى الكتاب الذي تأبطه ... ولا يزال يقلب صفحاته ذات اليمين وذات اليسار ، حتى يهتدي الى الموضع الذي يريده منه . واذن فانك تراه يحدق اليه برهة ، ثم يعمد الى البراعة ، والى صحيفة بيضاء من تلك الحقيبة ، ويدوّن فيها ما استطلعه من ذلك الكتاب . اما ملامح وجهه فكانت كالحرباء لا تستقر على شكل واحد ، مما يحمل على الظن انه مروّع الفكر قلقه . وانه لكذلك ، وانا اتأمله باعتناء ، واذ بزمرة من الناس اقبلوا عليه واستوقفوه على مقربة مني ومسمع ، وبعد حديث تجاذبوا اطرافه همساً ، لم اكد افهمه ، سمعت احدهم يقول : « وهل تؤكد لي « يا سيدي » اني اربح هذه الدعوى . او اني اخسرها كالماضية ؟؟ » فاتضح لي من كلام هذا القاتل انه امي جاهل . فاجابه ذلك « السيد » : « لا شك انك تربحها ، وهذا مؤكد عندي لا يخالجني فيه ريب . وهاك ما لديّ من البراهين على صحة ذلك . »

واخرج له كدسة من الاوراق ، شك بعضها ببعض بدبابيس وتعاليق ، لا يعرف لها اول ولا آخر ، واخذ يقرأ له عالياً . فلم يسع هذا الامي ، والحالة هذه ، الّا ان اخرج من جيبه صرةً رثةً ضمنها بعض قطع النقد ، وأداها له . وشكر « لسيده » اهتمامه هذا ، الذي لم يكن ليفهمه ؛ اكاذباً كان ام صادقاً ، وانصرف مع رفاقه . اما « السيد » ، فتابع مسيره الى ان اختفى

عني على مقربة من دار الحكومة . فعرفت انه « محام » ، وان ذلك الكتاب الذي يتأبطه هو « المجلة » يطالبها عند حلول الاجل ، اي اجل الدعوى التي يوكل اليه بالدفاع عنها . وان ذلك الامي هو صاحب الدعوى وقد اتى في الموعد المضروب ليدفع « لسيده » البدل الذي حصل ، ولا شك ، قيمته بشق النفس وبذل المجهود . وعبثاً جاء اليه بتلك الزمرة من اصحابه ، ليشفعوا فيه عند « سيده » هذا ، فيخفّض له القيمة . واذن فان تلك المارّة كانت حديث استرحام مع «السيد» ، الا انه لم يكن بد لذلك الامي من ان يدفع القيمة الى آخر فلس ، ودعواه ، قد تكون في دور الاحتضار ، ممدّدة على فراش النزاع .

* * *

وهنا تسنى لي ان اريح طرفي من تعب التحديق ، ومخيلتي من تعب التصوير ، حتى الساعة العاشرة . واني لكذلك ، واذا برجل مقبل لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ، وهو على جانب من حسن المظهر والرُواء ، يتقدمه شاب قد ناهز الربيع العشرين . وكان هذا مروّع الفكر قلقه ، تعلو وجهه سحابة من الهموم والكآبة ، قد اغرورقت عيناه بالدموع ، وكان يسرع الخطى كمن ذعر لشيء . وكان ذلك الرجل يقتفي اثره ، ويسرع اسراعه ، واختفيا عني على بعد بضعة امتار ، في احدى نواحي الحي الذي أقيم فيه . فراعني هذا المشهد ، واحزنني انني لم اتمكن من معرفة هذا ولا ذاك . ولكن لم يمض القليل حتى سمعت وقع اقدام ، فتشوّفت ، واذا « بكاهن » وقور السمة والمظهر ، اعرفه ، وهو الاب « يوسف » خادم كنيسة ذلك الحي ، مرتدٍ بعض الشارات المقدسة ، مكشوف الرأس ، يضم يديه على صدره كأنما هو يحرص على شيء ثمين خبأه طي ردائه ، يتقدمه ولد صغير يحمل بيسراه مصباحاً ، وبيمناه ناقوساً صغيراً ، يقرعه قرعاً متتابعاً ، كانه ينبه خواطر الناس الى المارّ ، ليتهيبوه ويحترموه . فلم ارتب اذ ذاك ان الاب يوسف يحمل الزاد الاخير — القربان المقدس — لمحتضر فسجدت احتراماً ، حتى جاز نافذتي ، واذا بذلك الرجل الذي دقّت عليّ معرفته من بضع دقائق ، راجع وقد بدت على وجهه

سحابة غم ، كأن شيئاً مكدراً روّعه ، واما مشيته فكانت في الرجوع غيرها في الذهاب ، بطيئة متثاقلة . ولما ان صادف الكاهن على بعد بضعة اذرع اومأ اليه متمتماً بين شفتيه ، فراعني ما سمعت من ذلك ، وهو قوله : «مات ولم اتمكن من عمل واسطة له .» فعرفت ، ان الرجل المذكور هو «الطبيب» قد استدعاه ذوو المريض على آخر دقائق حياة مريضهم ، وان تلك الكآبة التي تولته في الرجوع كانت بالواقع ، دليل حدوث امر مكدر . . .

واذن فكان لا بدَّ للكاهن ايضاً ، ان ينكفئ راجعاً لان المحتضر قد مات ! مات ! ولم يجده نفعاً ، لا طبيب النفوس ، ولا طبيب الجسوم . وهل كان ذلك من اهمالهما القيام بمهمتهما الشريفتين حق القيام ، ام كان من تهاون ذوي المريض ؟ ذلك لا يعلمه غير الله الذي سيطالب كلًّا ، بما وكل اليه من خدمة لهذه البشرية .

* * *

فرجعت عندئذٍ الى نفسي وقلت : هكذا يمر الناس اجمعين في سبيل الحياة كل الى اشغاله ومهماته ، حتى يلتقوا جميعاً في محطة الموت : العامل ، والراعي والتاجر ، والنائب ، والمحامي ، والطبيب ، والكاهن وسيلقى كل جزاءه في الآخرة .



جولة في المجلات

صوم رمضان ونشأته — فكتور بيرار
والمدنية الموبرية

صوم رمضان ونشأته

جاء في القرآن ، في السورة الثانية (١٧٩—١٨٣) : « يا ايها الذين آمنوا ، كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيرًا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر ... ؛ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعِ اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . »

وورد في الحديث اقوال عديدة تؤيد الايات القرآنية وترغب المسلمين بالصيام . فالبخاري ومسلم والترمذي يجمعون في القول ان في شهر رمضان تُفتح ابواب الجنة ، وتغلق ابواب الجحيم الخ . وفي هذا الشهر يذكر المسلمون الدعوة النبوية وغفران الخطايا وغير ذلك مما اتخذه السيد گوتين مادة للتنقيب عن اصل رمضان ، في مجلة الاسلام الالمانية ، (Der Islam: *Zur Entsehung des Ramadâns*. *Von* F. Goitein) في المجلد الثامن عشر ، ص ١٨٦ ، فرأينا ان نعرب مقاله موجزًا للقراء بمناسبة ابتداء صوم رمضان في خلال شهر كانون الثاني ، قال :

اجمع المحدثون على القول ان صوم رمضان حلّ بين المسلمين محلّ صوم عاشوراء بين اليهود ، فما هي العلاقة بين رمضان وعاشوراء ؟ ان المسلمين اتخذوا الكعبة قِبلةً لصلاتهم ولم يحدثوا بذلك امرًا جديدًا ، والكعبة كانت قِبلةً لعبادة العرب في الجاهلية . فهل يكون صوم اليهود في عاشوراء ، او يوم الغفران ، قد فتح السبيل لادخال صوم رمضان بين المسلمين ؟ ان ما جاء في

الآية القرآنية (٢:١٨٢)عن اجابة دعوة الله عباده اذا سألوا عنه ، ووقوع تلك الآية حلقةً في الكلام على الصيام ، اذى الى ادماج فكرة الغفران في فكرة الصيام ، فجعلوا الصيام من اسباب مغفرة الخطايا وذهبوا يشبّهون رمضان بعاشوراء ويستعيضون عن هذا بذاك.

وقد يؤيد هذا القول ما يعرف عن الظروف التي أسست يوم الغفران عند اليهود،والظروف التي أسست رمضان عند المسلمين. ان اليهود عيّدوا يوم الغفران ذكرًا لاعطاء لَوحي الوصايا ، ونزول موسى من جبل سينا ، واعلانه آنذاك ان الله غفر لشعبه . وكثيرًا ما اتى ذلك في التوراة وفي تعليم الربانيين حتى جعلوا يوم الغفران ، وهو تذكار ظهور الله لموسى ، عقدةً لحلقة الحفلات الدينية شأنَ غيره من اعيادهم . ووضع القرآن ايضاً اسباباً ليوم عاشوراء اقامة موسى على الجبل ، وذكر خطيئة الشعب بعبادته العجل الذهبي ، وذكر الغفران الذي ناله له موسى ، وظهور الله تعالى لقائد بني اسرائيل . (٢: ٤٨ — ٥٢) «واذ واعدنا موسى اربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون.واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التوّاب الرحيم.واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . » (راجع ايضاً ٢ : ٦٠-٦١ ؛ ٧:١٣٨-١٥٣) وكله بهذا المعنى دليل واضح على ان صوم المسلمين حلّ محلّ صوم اليهود.

وقد يذهب المحدثون الى ابعد من ذلك ويجعلون ايضاً خلاص اليهود من اعدائهم ، او انتصار موسى على فرعون ، سبباً لانشاء يوم عاشوراء.

حدث ابن العباس عن النبي قال : اني احقّ بموسى منهم . وليس من شأننا التفتيش عن اصل الحديث لكن حسبنا ان يكون مصداقاً للقول ان الاسباب التي وردت في القرآن اساساً لتأسيس الصوم عند المسلمين ، هي التي كانت في اعتبار يهود القرن السابع اساساً ليوم الغفران ، اخذًا عما عرفوه من اخبار موسى.

ولماذا يطول صيام المسلمين شهرًا كاملًا ؟- ان العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الشهرَ القسم الزمني الوحيد في الحياة الدينية والمدنية فلا عجب ان تكون تلك الوحدة في الزمان صارت مدة للصيام : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ... منها اربعة حُرُم. » اما كون صوم عاشوراء صار سببًا لادخال صوم شهر كامل فذلك التطوّر لم يحدث فجأة . وقد تنوّه بذلك الآية « اياماً معدودات » وان امرها لمتاص على الشراح. على ان فصل عشرة ايام من شهر الصوم للاعتكاف قد يضع محطةً للتطوّر بين صوم يوم الغفران وصوم الشهر.

ولم يكن الاعتكاف جديدًا في الاسلام ، فان الجاهليين كانوا « يعكفون على اصنام لهم » (٧:١٣٧) لكن الاسلام خصه ببعض التحريات . اما مدته فهي عشرة ايام ، فيها تقع ليلة القدر . ولم يعينوا هل تكون تلك العشرة في الثلث الاول من رمضان ام الثاني ام الثالث. على ان ممارسة عشرة ايام في الصوم « اعتكافاً » ، لا تزال شائعة في العبادة الاسلامية وبها فسروا «الايام المعدودة» الآتي ذكرها في القرآن؛ هذا وقد حدّد محمد في غير موضع عدد عشرة ايام صيام « لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » «تلك عشرة كاملات » (٢:١٩٢)

واعلم ان عدد عشرة ايام للصيام عريق القدم في استعمال الآراميين وهي التي تسبق يوم الغفران عند اليهود ، وهذا اليوم سماه المسلمون عاشوراء او العاشر من الصوم . وان ما قلناه عن « الايام المعدودات » وعن استعاضة شهر رمضان لمن كان مريضاً او على سفر بعدة من ايام اخر ليذكرنا بالقاعدة المألوفة عند اليهود ، اي انه من الممكن تحويل الصوم من يوم الى غيره. واخيرًا اذا قابلت بين آية الغفران الواردة في الكلام على الصوم القرآني ، والآيات التي جاءت في التوراة بالمعنى ذاته، كنت على بصيرة من الاسباب الداعية الى قولنا ان رمضان حلّ محلّ عاشوراء.

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (القرآن ٢ : ١٨٢)	«التمسوا الربّ ما دام يوجد، ادعوه ما دام قريباً » (اشعيا ٥٥ : ٦) وغيرها من الصلوات التي تتلى ايام الصيام.

ف . ت .

ڤكتور بيرار والمدنية الهوميرية

في الرابع عشر من تشرين الثاني الفائت مات ، في فرنسة ، عالم كبير ، واديب مشهور ، ووجيه معروف في بلاده وهو ڤكتور بيرار عضو مجلس الشيوخ ، واحد اعلام اولئك « الادباء » الفرنسويين الذين عملوا على ازدهار الدروس اليونانية واللاتينية ، وبالتالي على تعزيز الثقافة التامة الكاملة ، ما لم يعمله شعب من الشعوب .

وُلد ڤكتور بيرار في ١٠ آب ١٨٦٤ ، ودخل مدرسة المعلّمين العليا في باريس سنة ١٨٨٤ ثم اصبح عضواً في مدرسة اثينة الفرنسوية فاتجهت به امياله الى درس المدنية اليونانية اجمالاً ، وما تعلّق بالمسألة الهوميرية خاصّةً حتى اضحى اشهر وادقّ واوثق من تكلّم عنها . ولا تزال مؤلفاته عن هوميروس وآثاره ، ومعاصريه من الفينيقيين مورد كل باحث في هذه الموضوعات المهمة . واليه يرجع الفضل الاسمى لا بتزييف رأي ڤُلف (Wolf) المنكر هوميروس فحسب ، بل بانكار نسبة هذا الرأي الى ڤُلف . فبيّن بيرار في كتاب نشره سنة ١٩١٧ عنوانه « أكذوبة من قبل العلم الالماني » (*Un mensonge de la Science allemande*) ان ڤُلف سرق رأيه ذاك من الاديب الفرنسوي دوبيناك (d'Aubignac) في التأليف الذي ظهر بعد وفاته ، سنة ١٧١٥ ، بعنوان « آراء اكادمية عن الالياذة » (*Conjectures académiques sur l'Iliade*) هذا وقد اطلعنا في جريدة الفيغارو (*Le Figaro*) على بحث قيّم في العالم النقيد للكاتب هوبر موران (Morand) فرأينا اطلاع قرائنا على اهم ما جاء فيه :

لا بدع ان قلنا أن بموت ڤيكتور بيرار خسرنا ركناً من اركان العلم ، ورجلاً من رجالات الادب ، ما انفكّ منذ نصف قرن يبرز للعالم مولدات العقل اليوناني ، وقد البسها حلّة جميلة ، وذلك بفضل اطلاعه الواسع ، الذي ينمّ عن عقل فيه صائب ، ونفس على العلم غيورة ، وشخصية فردة بنوعها بارزة .

وليس ينساه من سمعه يلقي محاضراته القيمة عن اثار هوميروس الادبية ، مبيّناً خطأ الذين يزعمون ان المؤلفات المنسوبة لهوميروس ليست بالحقيقة سوى مولدات شعب كامل وثمار قرائح عديدة جمعها النقلة والمنشدون ، وان هوميروس ليس سوى اسم مستعار لغير مسمّى حقيقي . وقد ركز نظريته على براهين استمدّها من اكتشافات له حديثة واستنتج صحة تلك النظرية من الوجهتين التاريخية والجغرافية .

فبيّن ان الالياذة والاوديسية لم تكونا معروفتين حتى اواخر القرن الفائت الا من مخطوطات بيزنطية كتبت مائة سنة بعد عصر شرلمان . ودامت هذه

الحال حتى سنة ١٨٩٠، وقت اكتُشف في احدى قرى الصعيد مخطوطة يرجع عهدها الى القرن الخامس قبل المسيح، عليها مقاطع من تآليف هوميروس. ومن الغريب ان تلك الشذرات تطابق مطابقة تامة نصّ المخطوطات البيزنطية المعروفة. فيتضح من هذا الوجه ان التآليف الهوميرية كانت، ولم تزل، هي هي منذ ثلاثة عشر قرناً قبل البيزنطيين. ويظهر من وجه اخر ان ما اتى هوميروس على وصفه من اثاث البيوت وزينتها ليس خيالياً بل حقيقة واقعية، دلت على صحتها الاكتشافات الحديثة. فقد وُجد اناء هيلانة الذهبي، وخنجر مينلاوس، وغيرهما من الآثار؛ وتقرّر بعد الابحاث الدقيقة انها التي وصفها هوميروس بعينها. فلا يمكن اذاً بعد هذا نكران المدنية الهوميرية، بل يجدر بنا ان نقدر حق رجل توصل من ٨٥٠ سنة قبل المسيح، الى ايجاد فنّ يتطلّب موهبة عظيمة وعبقرية سامية مما تعجز عنه او تكاد القرائح العصرية.

وقبل ان ينتقل بيرار الى الوجهة الجغرافية، ابان ان هوميروس كان يستعمل احرف الكتابة لانه ليس محتملاً ان رجلاً مثل هوميروس سليل امة نبغت دون جموع الانسانية طرًّا، كان يجهل الكتابة وقد عُرفت طريقتها من قبل عهده، اذ وُجدت، في حفريات جبيل، كتابة ترجع الى السنة ١٢٥٠ق.ب.

فبعد ان اثبت فيكتور بيرار صحة وجود هوميروس ونسبة تآليفه ومعرفته الكتابة؛ هل نقدر ان نشك في صحة ما حكاه عن البلاد والشعوب؟ كلا، في عرف فيكتور بيرار لان من تتبع الشاعر اليوناني في كل تنقلاته، كما فعل هو، لا يسعه الّا التيقّن من صحة ما وصفه هوميروس من الوجهة الجغرافية.

وهكذا تبحّر فيكتور بيرار في تآليف الشاعر اليوناني فتضلّع منها وتمكن من ادق حذافيرها وقد دفعته غيرته الى وضع الاوديسة بالافرنسية، فابرزها بنثر بديع المبنى يكاد يكون شعرًا، على تحفظه الشديد في اداء الاصل. وذلك مما يندر وجوده في نقل تآليف كهذه.

كل هذا يدفعنا الى الاعجاب برجل وقف حياته على العلم مجاهدًا، فقد دافع عن شاعر قديم تفرّد بعبقريته، وهام من اجله باليونانيين وآدابهم هيامًا يُديم ذكراه، ويعدّه منهم خلودًا للزمن قاهرًا.

نكبة لبنان

منذ اليوم العشرين من الشهر الفائت، وابصار اللبنانيين قاطبةً شاخصة نحو بكركي ، مقرّ شيخهم الجليل وقد ألمّ به مرض مقلق ؛ وقلوبهم متجهة نحو العلاء ، تسأل العناية الالهيــة ان ترفق بالشعب فتحفظ له ركنه في هــذه الايام العصيبة . وكانت الساعات تتوالى والنفوس تتدافع بين الامل والوجل ، حتى كانت الساعة الثانية من صباح الخميس في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، فتسارع على قمم لبنان خبر المصيبة الوطنية ، ومشى في نسيم لبنـــان نبأ الفاجعة القومية ، ورددت اودية لبنان صدى الرزيئة الشاملة ، وتمايل ارز لبنان شاعراً بلوعة ابنائه بفقد ابيهم وعميدهم وركنهم العظيم ، المثلث الرحمات

البطريرك الياس بطرس الحويك

قضى شبعان من الايام بعد ان ملأها ولبنانَ ، بل والشرقَ الادنى اجمع ، بجلائل الاعمال وعظائم المنشآت ، بعد ان تجشم المشقات في تكوين هذا الوطن الحديث فجمع حول شخصيته البارزة الملل المختلفة والنحل المتباينة ؛ فكان الزعيم الكبير والمرجع الوحيد ، لم يهدأ له بال ولم ينم له طرف حتى وحد بين جميع العناصر ووضع الحجر الاخير ، كما انه كان واضع الحجر الاول ، في صرح الوطنية الحقة . فلا عجب ان اعتُبر مأتمه مأتماً وطنياً ، فانتقلت السلطات اللبنانية والمنتدبة برجالها الرسميين مع ممثلي الدول كلهم ، الى بكركي للاشتراك بمأتمه العظيم الذي كان اشبه بظفر منه بجنازة . وتألبت عشرات الالوف بالقلوب الخاشعة والابصار الشاخصة لوداع الراحل الكبير وكلهم يتمنى ان يشبع الطرف من مرأى القديس المسجى على سريره الاخير ، فيمكنه ان يقول في المستقبل : رأيت البطريرك العظيم !

لسنا الآن في موقف الرثاء والتأبين ، بل اننا نكتفي بذكر الفاجعة على ان نعود في العدد القادم ، والمجال افسح ، فنصف ما امتاز به شيخ لبنان من الصفات العبقرية ، وما قام به من الاعمال العظيمة .

شذرات

الخوري بطرس غالب

١٨٧٨ – ١٩٣١

بأسف شديد وألم بالغ عميق ، يحمل « المشرق » الى قرائه الكرام نعي من كان ، لبضعة اشهر خلت ، يزيّن صفحاته بالآراء الناضجة والابحاث النفيسة المفيدة . الا وهو فقيد العلم والوطنية والتقوى ، الخوري بطرس غالب. ألمّ به في اوائل الصيف داء مضنك قاسى آلامه المبرّحة مـدة خمسة اشهر أظهر في خلالها من فضيلة الصبر والتسليم ما كان مثالاً لعائديه. الى ان كان مساء الحادي والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، ففاضت روحه الطاهرة ، وقد خلُصت من شوائب هذه الحياة فرجعت كاملةً الى بارئها مصدر الكمال ، بين حزن الاهل الصامت ، ولوعة الاصدقاء البكاء . وكانوا قد تسارعوا لوداع الراحل العزيز ، وهم يتشبّثون بآمال ما كانت لتحقق .هذا ، والراحل ينظر اليهم بعينين ملؤهما الوداعة والغبطـة وقد انعكست عليها انوار الابـدية ، وقبل الأسرار الالهية والبركة الرسولية التي اتاه بها نيافة القاصد ، فسهل عليه ترك هذه الدنيا وهان عنده الانتقال . فكان هادئاً وديعاً صالحاً مفيداً لشاهديه ، كما كانت حياته هادئةً وديعة صالحة مفيدة لجميع عارفيه.

كان الفقيد كاهناً غيوراً متفانياً في سبيل خلاص النفوس ومرشداً بعيد النظر مصيب الحكم ، وصديقاً عطوفاً عاملاً على خدمة من يلجأ اليه جهد المستطاع؛ فبكاه اهله الأدنون ، وابناؤه الروحيون ، وجميع اصدقائه وعارفيه . وكان عالماً واسع الاطلاع ولاسيما في شؤوننا الوطنية ، وكاتباً معروفاً متعدد المباحث والموضوعات[1] ، ومشيراً حكيماً في الامور الدقيقة ، فبكاه زملاؤه من ارباب

١) من آثار الفقيد العزيز في اللغة العربية : سلسلة ابحاث تاريخية في توابع المدرسة المارونية الاولى (المطران بطرس ضوميط مخلوف - البطريرك جرجس عميرة – المطران

اللاهوت والادب والتاريخ ، وهم في عصر اشدّ ما يكونون حاجة اليه . اما «المشرق» ، وقد عرف في الراحل الكريم جميع هذه الصفات ، فكان اسفه شديدًا والمه بالغًا عميقًا ، وهو يذكر حسناته ما ذكر آثاره المتعدّدة ، ومساعداته القيّمة ، مقدمًا لاسرته الكريمة اصدق التعازي ، وسائلًا الله ان يقبل تلك النفس الفاضلة في ابديته الصالحة

حفريات افامية

يذكر قرّاؤنا الكرام ، دون شك ، ما نشرناه في «مشرق» السنة الماضية (٢٩ [١٩٣١] : ١٠–١٨) عن قدوم بعثة بلجيكية برئاسة الاستاذ ميانس ، الى موقع افامية ، ومباشرتها اعمال الحفر والتنقيب في اطلال تلك المدينة ، وقد عرضنا لهم يوم ذاك نتائج الحفريات في دورتها الاولى . اما الآن وقد اتمت البعثة دورتها الثانية في اواخر تشرين الثاني الفائت ، فوجب علينا ان نشير ، وان سطحيًا ، الى ما توصّلت اليه هذه السنة .

قابلنا الاستاذ ميانس ، على اثر رجوعه من منطقة الحفريات ، فاذا هو يطفح حبورًا بنتائج اعماله ، وبما يتوقّع من قيمة تاريخية لتلك المكتشفات . ثم اندفع يحدّثنا عن كيفية سير الحفريات هذه السنة ، وعن المعدّات التي جاءت بها البعثة من آلات مسهّلة للحفر ، وادوات سكة حديد صغيرة اقامتها في ميدان العمل ، وحافلات حديثة لتفريغ التراب ، وموادّ لصنع قوالب الآثار المهمة . ثم

اسحق الشدراوي – ابرهيم الحاقلاني) ، وفي نشأة الديانة المسيحية في لبنان ؛ والحياة النسكية فيه . وتراجم قداسة الحبر الاعظم ، ونيافة القاصد الرسولي ، والمرحوم الاب كاتن اليسوعي والخوري بطرس المكرزل . مع نشر وثائق تاريخية مهمّة . وفصول قانونية قيّمة كالاحوال الشخصية وكلها ظهرت في المشرق والبشير . امّا ما طُبع على حدة فنه : صديقة ومحامية (١٩٢٣) ، والاحوال الشخصية (١٩٣١) ، والتعليم المسيحي الاعدادي للمناولة الاولى (١٩٣١) ، ومختصر اللاهوت الادبي (بالاشتراك مع الخوري ميخائيل غبريل) . وله في اللغة الفرنسية كتاب : Le Protectorat religieux de la France en Orient, *Avignon Aubanel* وعدة مقالات في مجلة المدرسة الاكليريكية (*Bulletin du Séminaire Oriental*) ، وله بالعربية والفرنسية والسريانية كتاب «المسيح الملك» (١٩٢٦) . فضلًا عن المقالات المتعددة في المواضيع المختلفة المنشورة في جريدة البشير . وقد كان يجيد لغات عديدة ولا سيا اللاتينية والفرنسية والعربية والسريانية .

انتقل الى ذكر ما كلّل اتعابهم من نتائج باهرة فعرض علينا رسوماً وصوراً تنطق بقيمة تلك المكتشفات، واهمية تلك المدينة. وقال انه اصبح بامكانه ان يجمل افامية كلها في متحف عاصمته بروسل، لا بان ينقل اليها الآثار المكتشفة طبعاً — وهذه كلّها لا تزال موجودة تحت مراقبة الحكومة السورية واحد امناء البعثة — بل القوالب التي أُخذت عن اهمها مع التخطيط الكامل للمدينة.

وكان من اهم مكتشفات هذه السنة تمثال ضخم لجبّار راكع حُفر حفراً بارزاً في صلدٍ من الحجر مربّع يبلغ ضلعه ١٤٠ سنتيمتراً . (انظر الرسم ١) وكان هذا التمثال قائماً على قاعدة عالية ، كما يعتقد الاستاذ ، فلم يصل اليه مخرّبو تلك الآثار. وقد يكون ظلّ كذلك حتى دهمت المدينة الزلزلة الكبرى سنة ١١٥٢ فتساقطت اركانها . وكان من نصيب التمثال ان سقط على اسفله فتحطّم ما اتصل بالقاعدة منه وغار التمثال في حفرة تراكم فوقها التراب، فطمست آثاره حتى استخرج هذه السنة ، فكان حفظه من العجائب . اما رأسه واعلى صدره ويداه فلا تزال على غاية ما يمكن من الجلاء والبروز ، حتى ان الاستاذ مايانس يقول ان الرأس هو اتمّ ما اكتُشف من نوعه في بلادنا الشرقية من حيث الحفظ والبقاء لا من حيث الجمال ودقة الفنّ.

ومن الآثار المهمة التي اكتشفت هذه السنة ايضاً كتابة لاتينية رُقمت على قطعة عمود تُرى مدحرجة في اسفل الرسم من جهة اليمين . والكتابة تذكر الامبراطور لوسيوس ڤيروس الذي ملك من السنة ١٦١ الى السنة١٦٩ للمسيح. واذاً فهي تفيد في تأريخ تلك الاعمدة التي تظهر ، ولا شكّ ، سابقة عهد الامبراطور المذكور

ومن ذلك ايضاً قطع من الفسيفساء الدقيقة الصنع كشفت عنها الحفريات في اسفل الحائط الاقصى التابع لرواق الاعمدة الكبيرة . ويظهر شيء منها في اسفل الرسم ، امام البدوي . اما الرسم الرابع فيمثّل بعض النقوش الموجودة على رؤوس الاعمدة وتمثل اكثرها ورق اللبلاب (*lierre*) والكنكر (*acanthe*).

هذا ما يمكننا ذكره اليوم بغاية الاختصار. وسنوافي القراء الكرام بتفاصيل المكتشفات بعد ان يقدّم الاستاذ مايانس تقريره المسهب للمراجع العلمية العليا.

مطبوعات شرقية جديدة

Margaret Smith : Studies in early mysticism in the Near and Middle East. *in*-8°, 276 *pp. Prix* : 12/6. *London, The Sheldon Press*. 1931.

التصوّف القديم في الشرق الادنى والمتوسط

يبحث مؤلف هذا الكتاب في التصوّف القديم في الشرق الادنى والمتوسط. فيبدأ بالتصوّف المسيحي والحياة الرهبانية، وهو اضعف اقسام الكتاب واوهاها، ويكفي ان فيه مثل هذا الخطأ الفظيع (ص ٨٦) وهو ان مذهب القديس افرام يجرّ الى الحلولية. ثم ينتقل المؤلف الى التصوّف الاسلامي فيظهر تأثير المسيحية فيه، ويعرض مذاهب قدماء الصوفيين مترجماً المشهورين منهم، مبيّناً كيف ان الكثير من ارباب الصوفية الذين ساروا من مذهب التوحيد لم يأمنوا المزالق التي اهوت بهم الى الحلولية. والكتاب، في هذا القسم، وافي المعلومات دقيق التحليل، ولاسيا في مذاهب قدماء الصوفيين. هـ.ل.

Baron Firmin van den Bosch : Vingt années d'Egypte. *in*-12 *de* 263 *pp. Prix* : 15 *f*. *Paris, Librairie Académique Perrin.*

عشرون سنة في مصر

من حسن حظّ القرّاء أن يرضى رجل قدير اقام مدّة طويلة في مركز معروف بان ينشر مذكراته وملاحظاته. وهذه حالة المؤلف الذي خدم مصر مدة عشرين سنة في المحاكم المختلطة، فافاد الادعاء العام فيها بمعارفه ومواهبه القيّمة. وقد اتصل باعظم الشخصيات في مصر، وتناقش واياهم في عدة مشاكل مهمّة. حتى غدت قراءة كتابه من اللذات النادرة، ولاسيا عندما يعبّر عن آرائه في امور الامس التي لا تزال حاضرة في جميع الاذهان، فيلقي احكامه بما لا مزيد عليه من رغبة في الدقّة والتحفّظ. وقد قسم كتابه الى فصول تتناول فيها الحياة السياسية، والحياة القضائية، والحياة الاجتماعية مع حياة سراة القوم، والفنّ، والتاريخ. ثم القى نظرة اجمالية على الاقطار المجاورة فخصّ بسورية الصفحات ٢٢٤—٢٣٥. ج.ل.

A. Gruvel : Les Etats de Syrie. Richesses marines et fluviales. Exploitation actuelle. Avenir. *in-8° de 453 pp. avec 56 fig. dans le texte, 28 planches hors texte et une carte dépliante de pêche du golfe d'Alexandrette. Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.* 1931

حكومات سورية: موارد غناها البحرية والنهرية، واستثمارها في الحاضر والمستقبل

قام المؤلف بثلاث بعثات في مناطق الانتداب الفرنسوي، فدرس مع معاونيه، الشواطئ اللبنانية - السورية، واهمّ الانهار والبحيرات او البرك. ودوّن معلوماته في هذا الدرس الذي يظهر الاول من نوعه في دقته واتساعه. وفائدته انه يطلع الناس على مورد غني مهمّ في الشواطئ، وهو الاسماك. والكتاب يصف كل نوع منها، ويصوّره، ويذكر مناطق وجوده. وهو على قسمين: اختصّ المؤلف السيد گروڤيل بالاول والاكبر منهما، فالقى فيه نظرة اقتصادية شاملة على الشاطئ والمرافئ واعماق البحار، والاحوال الجوية التي تؤثر في صيد البحر، وعلى الاسماك وانواعها ومحلات وجودها، وتأثير فتح ترعة السويس على ما يوجد منها في شواطئ لبنان وسورية، ثم على الشبكة النهرية ومقدرات الصيد فيها وفي البحار، واستثمار ذلك في مناطق الانتداب في الحاضر والمستقبل. وترك لمعاونيه القسم الثاني يصفون فيه وصفاً علمياً بعض الانواع كنجيّات الماء، وفصيلة السراطين، والهلاميات.

وعلى الجملة نرى الكتاب مبتكراً في بابه مفيداً كل الافادة في معلوماته وابحاثه. ج. ل.

P. Hieronymus Engberding O. S. B. : Das eucharistische Hochgebet der Basileiosliturgie. [*Theologie des christlichen Ostens. Texte und Untersuchungen, herausgegeben von der Benedikterabtei St Joseph Coesfeld, Heft I.*] 1931. *Münster, Aschendorff, LXXXIX-89 pp. R. M. 9.*

الصلوة الافخارستية في طقس القديس باسيليوس

ان الآباء البندكتيين الالمان ما فتئوا يواصلون ابحاثهم القيّمة في المسائل التاريخية المهمة. وها انهم، بعد ان انشأ فريق منهم، وهم بندكتيو ماريا لاخ، تلك المجموعة العلمية النفيسة التي دعوها (*Liturgiegeschichtlichen*

(*Quellen und Forschungen*) والتي تمثل في عصرنا قيمة لا يُستهان بها من الابحاث الثمينة بادارة حضرة الاب كونيبرت موهلبرغ (Mohlberg) والدكتور ادولف روكر (Rüker) ؛ قام فريق آخر منهم ، وهم بندكتيو القديس يوسف الكوسفيلــدي في وستفاليــة ، فأنشأوا مجموعة جديدة غايتها نشر النصوص والابحاث التاريخية في الشؤون اللاهوتية والطقسية .

هذا ولا خوف من ان المجموعتين تتناسلان غاية وابحاثاً فتفقد احداهما مبرّرات وجودها . لانه بينا المجموعة الاولى تهتمّ خصوصاً، ان لم نقل فقط ، بنشر النصوص الطقسية ؛ نرى الثانية توسّع مجال عملها من جهة حتى تشمل به اللاهوت اجمع ، وتضيّقه من جهة اخرى فلا تهتمّ الا بالشرق ، بما فيه روسية التي يرمي العلماء اليوم الى معرفتها حق المعرفة . ولاشك ان هــذه المجموعة الجديدة المدعوّة «لاهوت الشرق المسيحي» تقرن جهودها بجهود سابقاتها ولاسيا «الشرق المسيحي» (*Oriens christianus*) و«اصداء الشرق» (*Echos d'Orient*) فتساعد لاهوتيي الغرب ، وتسهّل عليهم فهم لاهوت الكنيسة الشرقية .

هذا وبين يدينا الآن المجلد الاول من هذه المجموعــة يبحث في الصلوة الافخارستيــة في طقس القديس باسيليوس . وهو بحث لا تخفى اهميته اذا ما عرفنا ان درس اللاهوت بالمقابلة لا يزال في مهده ، على ما اداه من نتائج حسنة صالحة جديرة بان تشجع من يشتغلون بهذه الابحاث ، ومنهم حضرة الاب أنگبِرْدِنغ ، مؤلف الكتاب .

يبدأ المجلد بمقــدمة ممتعة يعرض فيها المؤلف لمسألــة تطوّر ونموّ الصلوة الافخارستية الكبيرة ، وما قدّم العلماء في ذلــك من نظريات . ثم يشــرح لنا طرق ابحاث المقابلة ، ويدلنا على المصادر المهمة من مخطوطة ومطبوعــة . ثم يحلّل لنا تحليلًا دقيقاً اهم الشهود المستخدَمين في تأليف النسخ الاربع من كتاب القديس باسيليوس ، التي سيدرسها ويقابل بينها ، وهي النسخ : البيزنطيــة ، والسريانية ، والآرامية ، والمصرية . بعد ذلك يضع المؤلف بين يدينا مــا يمكننا من الحكم على القيمة النقدية في كل من هــذه النسخ الاربع ، وعلى قيمة الشهود كلًّا بمفرده ، ومجتمعين الى فئات . ثم يشير الى مــا اخذه بعض

المؤلفين وبعض الطقوس عن طقس القديس باسيليوس . وينهي بسؤال مهم وهو: من هو مؤلف هذا الطقس المنسوب الى القديس باسيليوس ؟ ولا يخفى على المطالع ان الجواب ليس بالسهل عن سؤال كهذا . اما حضرة المؤلف فيستنتج انه لا يمكن القول ، بحصر المعنى ، ان القديس باسيليوس مؤلف الطقس المذكور . بل هو جامع لآثار وُجدت قبله بمدة طويلة . وقد يكون علق النصوص الكتابية والشروح اللاهوتية على كتاب قديم قد تمثله اليوم النسخة المصرية لطقس القديس المذكور .

ثم ان المؤلف يخصص القسم النقدي، الحاوي المستندات، لنشر النص اليوناني متقابلًا فيه بين النسخ الاربع : المصرية ، والآرامية ، والسريانية ، والبزنطية . ثم يدرس كلًّا من هذه النسخ درساً غاية في الدقة وكمال النقد .

كل هذا يبدو من مطابع أشندورف في مظهر واضح جميل ، ولاسيما في ما خص النص اليوناني . ا . ج .

J. Célérier : Le Maroc. [*Collection Armand Colin*, 103, *boulevard S*t *Michel.*] 1 *vol. in*-16, 220 *pp.* 3 *graphiques et* 6 *cartes. Prix, broché* : 10 *f*r 50.

مراكش

مؤلف هذا الكتاب استاذ للجغرافية في معهد الدروس العالية المراكشية ، وهو يعيش في تلك البلاد منذ خمس عشرة سنة لم ينفتأ في خلالها يزور مناطقها من الريف حتى الصحراء . فهو ، والحالة هذه ، اوثق من يتكلم عن مراكش . ولاشك في ان الجغرافيين يقدرون دقته في وصف المنطقة المراكشية ، والاهتمام المتواصل في ايجاد الوفاق بين الجماعات البشرية والبيئة التي تعيش فيها . كما ان غير علماء الجغرافية من القراء يسرون ، دون ريب ، بتصوير تلك الحياة المستندة الى القديم في جميع مظاهرها التقليدية الغريبة . فلا بدّ ، والحالة هذه ، لجميع من يرغبون في زيارة مراكش ، وهي زيارة اصبحت من الامور العادية في فرنسة اليوم ، من الوقوف على هذا الكتاب فيكون لهم دليلًا اميناً ومرشداً ثقة .

E. Faguet: Histoire de la poésie française. V. Nicolas Boileau. *in-12 de 341 pp. Prix : 15 f*. *Paris, Boivin et Cie, éditeurs.*

تاريخ الشعر الفرنسوي : الجزء الخامس : نقولا بوالو

وصف «المشرق» سابقاً (٢٨[١٩٣٠] : ٧٩٢) الجزء الرابع من تاريخ الشعر الفرنسوي منذ النهضة حتى عصر الرومانتيكيين، وكان قد خصه المؤلف بجان دي لافونتين. وهو اليوم يظهر الجزء الخامس مختصاً بنقولا بوالو. وفضل بوالو، في الشعر الفرنسوي، لا بكونه اميرا من امراء الشعر النوابغ، بل بما امتاز به من حسن الذوق والرزانة وما اليها من الصفات التي جعلت له تلك الشخصية المعتبرة، والتي يحللها المؤلف بدقته المعهودة فيستنتج ان بوالو رجل اتى في عصره فكان اول من شهر الكفاح الادبي الواجب في الوقت المرافق، واول من أثار في فرنسة الابحاث حول الفنون الادبية المهمة، وأدّى، في كل ذلك، شروحاً معقولة مقبولة. ج. ل.

1 — Chansons populaires grecques des 15e et 16e s. *publiées et traduites par* **Hubert Pernot :** *Paris, éd. «Les Belles Lettres»*. 1931

2 — Morceaux choisis du Pré spirituel de Jean Moschos. *traduits et annotés par* **D.-C. Hesseling.** *Paris, édition « Les Belles Lettres»*. 1931

١ – اغاني شعبية يونانية من القرنين الخامس عشر والسادس عشر

٢ – منتخبات من الروضة الروحية لجان موسكوس

هما مجلدان جديدان لطيفان من «مجموعة المعهد اليوناني-الحديث» (Collection de l'Institut Néo-hellénique) التي تنشرها جامعة باريس. يتضمن الاول عدة اغانٍ شعبية يونانية ترقى الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، من التي كان يتناقلها المنشدون المتكسبون فيجوبون بها البلاد مستجدين. وقد نشرها وترجمها الى الفرنسوية السيد هوبر پرنو، فوفّر لابناء اللغة اليونانية الحديثة اسباب لذة عجيبة اذ يتذكرون ما سمعوه في صباهم من امثال تلك الاناشيد الشعبية. واعان بترجمته من لا يمكنه ان يفهم معاني تلك الاناشيد وبعضها صعب دقيق.

اما المجلد الثاني فيتضمن «منتخبات من الروضة الروحية»، اختارها

ونشرها استاذ اليونانية المعروف السيد هيسلنغ ، الذي كان قد سبق ونشره في المجموعة نفسها ، تاريخاً للآداب اليونانية الحديثة . وقد قدّم على منتخباته هذه بحثاً ضافياً في ٥٧ صفحة عرض فيه للغـة العامة المعروفـة « بالكوني » (Koinê) وتأثيرها في انشاء اللغة اليونانية الحديثة . هذا وان حسن الذوق في انتخاب القطع المنشورة ، وسذاجة موضوعاتها ، وبساطة انشائها ، لمن اقوى العوامل على جعل المجلد الصغير شائقاً ولطيفاً للغاية. ي . ك .

E. Saussey : Les mots turcs dans le dialecte arabe de Damas. [*Mélanges de l'Institut français de Damas t. I* (1929)] *in 8° de 55 pp. Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1929

الكلمات التركية في لهجة دمشق

هذا الكتيّب هو في الحقيقة طرفة من الطرف اللغوية الاستشراقية ، اولاً لجدة موضوعه ، ثم بخطورته للتعمق في درس تطورات اللغات العربية الدارجة ، واخيراً بالدقة العلمية الكاملة التي بذلها المؤلف لتوفية المبحث حقه من الايضاح والتحقيق .

الكتيّب مقسوم الى اربعة اقسام . في القسم الاول يرتب المؤلف نحو ستمئة من الكلمات التركية الداخلة في لهجة دمشق على شكل جداول ، يحتوي كل منها الفاظاً متجانسة المعنى ، كاسماء الحرف والالفاظ الادارية والعسكرية والتجارية . ثم يرتبها بحسب انواعها الصرفية : الموصوفات ، فالصفات ، فالظروف (*adverbes*) ، فادوات الوصل (*conjonctions*) ، فاسماء الافعال ، فالافعال .

في القسم الثاني بيان التحوّلات الطارئة على بعض الحروف التركية في تلك الكلمات المندمجة في لغة دمشق الدارجة ، ولا تملك ذاتنا عن التعبير عن دهشتنا من طول باع المؤلف ودقة نظره خصوصاً في هذا الباب من كتيّبـه النفيس ، ولاسيما انه فيه مبتكر ، لا ناقل او منتحل .

في القسم الثالث يستخلص المؤلف من البحثين السابقين بعض نتائج عامة ، مهمة ، منها ان بعض الالفاظ التركية الداخلة في لهجة دمشق غير مأخوذة عن التركية العصرية ، التي ينطق ويكتب بها الادباء الاتراك ، بل عن التركيـة

القديمة او عن لهجاتها الماضية والحاضرة . ومنها ايضاً ان بعض تلك الالفاظ ، ولا سيما المتعلقة بالتجارة ، ليست في الغالب تركية الاصـل ، بل مقتبسة عن الايطالية ، وكذلك قد أُخذت عن الفرنسية اكثرتلك الالفاظ المعبرة عن مظاهر التمدن الاوربي ، فلم يؤخذ عن اصل تركي محض سوى الكلمات العسكرية واكثر الالفاظ الدالة على الآلات والثياب والاطعمة والمساكن واثاثها.

في القسم الرابع جدول ابجدي لتلك الالفاظ التركية ، البالغ عددهـا نحو ستمئة ، وقد كتب كل منها باحرف لاتينية ، زيد عليها ما يلزم من الاشارات الاصطلاحية للتعبير عن كيفية لفظها في لغة دمشق الدارجة ، ثم أُضيف مقابلها في الفرنسية ، فالتركية ، مع بيان الاصل الاول غير التركي ، عند اللزوم.

خلاصة القول ان السيد سوسه (Saussey) قد أدى لعلم اللغات العربية الـدارجة خدمة جليلة بنشره ذلـك المؤلف الصغير بحجمه بقدر ما هو كبير بقيمته . ر. ن.

اوليات سلاطين تركية

بقلم محمد جميل بيهم

مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٥٠ ه ١٩٣١

هو كراس بقطع ١٦ صغير ، عدد صفحاته ٨٠ ، اهداه مؤلفه الى المكتبة الشرقية ، وقد ضمنه ذكر سلاطين بني عثمان من عهد تأسيس السلطنة العثمانية الى عهد سقوطها (ص ٤–٥٥) عرّف فيـه كل سلطان باسمه ونسبه ، وتاريخ ميلاده ، وجلوسه ، ووفاته وبما احدثه من « التجدد » ، وقـد لا تخلو لفظة التجدد من بعض العبث . . . ان كان من ثم تجدد في مثل ما قال عن السلطان احمد الاول (ص ٢٥) : « انه عدل عن عادة اسلافه قتل اخوانهم عقب المبايعة مكتفياً بسجن اخوانه في القصور » ! . . وقـد يؤاخذ المؤلف بروايته بعض الحوادث مجازفة وبغير سند . فقال : (ص ٢١) عن سليمان القانوني انه « منح الاجانب الامتيازات تكرماً وتفضلاً » ، والصواب : تدبيراً وسياسة » وقال(ص ٢٩) عن مراد الرابع انه « طرد اليسوعيين من القسطنطينية » ولم نرَ لهذا الطرد ذكراً في تاريخ اليسوعيين !!! وقال انه مـات من غير عقب ، ولـكن روى

المؤرخ هاس انه رزق ولداً دُعي علاء الـدين (المجلد ٩ : ص ٢٧٤) وذيل الكتيب يحوي ما قاله الادباء مقرّظين المؤلف. ف . ت .

نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣٠

المطبعة الكاثوليكية ١٩٣١ ، ف ٨ ، ص ٦٠

تحوي هذه النشرة بيانات البنك على التنظيم السياسي والاداري في البلاد ، وعلى الحياة المالية والاقتصادية والتجـارية ، وعلى اعمـال الاسعاف والتعليم ، ونظرات اجمالية في احوال الشركات المتعلقة وموازنـة كل منها للسنة ١٩٣٠ ، وخلاصتها: شركة بنك سورية ولبنان ، ربح : ٣'٣٣٥'٠١٦'١٩٣ فرنكاً – بنك سورية الفرنسوي ، ربح : ٣٣١'٨٩٥ فرنكاً الاعتماد العقاري لسورية (كريدي فونسيه) ، ربح : ٤٥١'٧٦٧ فرنكاً – الترامواي والتنوير ، ربح : ٥'٥٩٨'٤٩٨ فرنكاً – مرفأ الاسكندرونة ، ربح : ٣٣١'١٤١ فرنكاً – ترامواي وكهرباء دمشق ، ربح : ٣'٠٩٨'٧٦٠ فرنكاً – كهرباء حلب ، ربح : ٣'٤٠٢'٥٦١ – راديو اوريان : اظهر تسديـد حساب الربح والخسارة اضافة اعتمادية قدرها ٦٦٨'٦٥٠ فرنكاً – المبردات ومستودعات التبريد في الشرق ، ربح: ١٨٨'٠٣٦ فرنكاً – اسفلت وبترول اللاذقية ، بلغت الموازنة فيها : ١١'٢٢١'٥٦٦ فرنكاً – الفنادق الكبرى في الشرق ، الموازنة فيها عن ١٩٣١ : ٨'٣٦٤'٨٣٠ فرنكاً – سكة حديد دمشق – حماه وتمديـداتها ، نتيجة استثمارها الصافية ١٣'٦٨١'٣٩٩ فرنكاً – مرفأ وارصفة وحواصل بيروت : نتيجة استثمارها الصافية ٣'٨٥٦'١٨٤ فرنكاً - مياه بيروت ، نتيجة استثمارها : ١٤'٨٦٣'١٣٨ .

هذا وفي النشرة معلومات اقتصادية مهمة قد نعود فنأخذ منها شيئاً ، شأننا كل سنة . ف . ت .

* فهرس مكتبة صادر ١٩٣١–١٩٣٢ * وهما السنتان الثامنة والستون والتاسعة والستون لتأسيسها . صندوق البريد ١٠ – شارع النبي بيروت .

* قائمة مكتبة التوفيق ١٩٣١–١٩٣٢ * السنة الرابعة والعشرين من تأسيسها ، لصاحبها توفيق كبوش . بيروت سوق مار جرجس – مطابع قوزما .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ تشرين الثاني — ١٥ كانون الاول ١٩٣١

لبنان وسوريا — زار السيد پول رينو ، وزير المستعمرات الفرنسوية ، دمشق وبيروت في ٢٨ و٢٩ ت٢ فاستُقبل وودّع بكل حفاوة .

* سيم صاحب السيادة المطران نيقولاوس نبعه مطراناً على الروم الكاثوليك في ابرشية صيدا ، خلفاً للمثلث الرحمات المطران اثناسيوس خرياطي .

* اصدر المفوّض السامي (٧ ك١) قراراً يحدّد عدد نواب سورية المنتخبين والمعيّنين وافتُتحت جلسات المجلس الاستشاري واخذت الاحزاب تهتمّ كل الاهتمام باعداد الانتخابات .

* توفي في رومة (١٥ ك١) البطريرك بولس بطرس ١٣ ترزيان ، البطريرك السابق على الارمن الكاثوليك .

جبل الدروز — زار المفوّض السامي عاصمة الجبل (٤ ك ١) فجرى له استقبال حافل وقدّم له الاهالي عريضة يطلبون فيها ان تكون علاقات جبل الدروز السياسية والادارية مستقلة عن سورية ومرتبطة رأساً بالسلطة المنتدبة .

فلسطين — عُقد المؤتمر الارثوذكسي العربي الثاني ، في يافا ، في ٢٨ و٢٩ ت٢ فكانت خلاصة مقرّراته العمل في سبيل انتخاب بطريرك عربي ، والاحتجاج على تدخّل الاجانب في ذلك وخصوصاً قنصل اليونان ، ومقاطعة كل انتخاب لا يكون فيه نصيب للشعب ، وجمع المال للقيام بنفقات اللجنة التنفيذية .

* عُقد المؤتمر الاسلامي في القدس (٧-١٥ ك١) وغايته الدفاع عن الاماكن المقدّسة ، وانشاء جامعة اسلامية ، ونشر الثقافة الاسلامية ، ومحاربة الالحاد . فقام المعارضون وعقدوا مؤتمراً اسلامياً كبيراً آخر ، غيرَ موافقين على ما يقرّره المؤتمر الاول .